تَفسير إنجيل يُوحَنَّا عدداً بعدَ الآخر

(الإصحاحات ٨-١٠)

برنامج «في ظلال الكلمة»

بِقَلَم: القَسّ الدُّكتُور دِكْ وُودوُرد
تَرجَمَة: القَسّ الدُّكتُور بيار فرنسيس

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو إلكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك ان تنسخها لاجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

Mini Bible College

Study Booklet Twenty-Five

The Gospel of John
Verse By Verse
(Chapters 8- 10)

بَرنامج "في ظِلالِ الكلمة"

كُتَيِّب رَقَم ٢٥

إنجيل يُوحَنَّا مُفسَّراً عدداً بعدَ الآخر
(الإصحاحات ٨- ١٠)

بِقَلم: القَسّ الدُّكتُور دِكْ وُودوُورد
تَرجمَة: القَسّ الدُّكتُور بيار فرنسيس

المُقدِّمَة

نُرَحِّبُ بكُم في الكُتَيِّبِ الثَّالِث من أصلِ سِتَّةِ كُتَيِّباتٍ، نُقدِّمُ من خلالِها مُلاحَظاتٍ للذينَ سَمِعُوا برامِجَنا الإذاعِيَّة المائة والثَّلاثِين التي دَرَسنا فيها معاً إنجيلَ يُوحَنَّا، عدداً بعدَ الآخر. إن لم يَكُن الكُتَيِّبانِ السَّابِقانِ عن إنجيلِ يُوحَنَّا بِحَوزَتِكُم، أُشَجِّعُكُم أن تحصَلُوا عليهما لِيُصبِحَ لَدَيكُم أساسٌ يُوَفِّرُ إستِمرارِيَّةً تُساعِدُكُم كَثيراً في قراءَةِ هذا الكُتَيِّب.

أُذَكِّرُكُم أنَّ الرَّسُولَ يُوحَنَّا هُوَ كاتِبُ هذا الإنجيل. ولقد أوضَحَ قصدَهُ تماماً عندَما أخبَرَنا بِسَبَبِ كتابَتِهِ للإنجيلِ الرَّابِع: "وآياتٍ أُخَرَ كَثيرَةً صَنَعَ يسُوعُ قُدَّامَ تلاميذِهِ لم تُكتَبْ في هذا الكِتاب. وأمَّا هذه فقد كُتِبَت لِتُؤمِنُوا أنَّ يسُوعَ هُوَ المسيح إبنُ اللهِ، ولِكَي تَكُونَ لكُم إذا آمنتُم حياةٌ بإسمِهِ." (يُوحَنَّا ٢٠: ٣٠- ٣١).

دَعُونا نُتابِعُ الآنَ دِراسَتَنا عن كيفَ قدَّمَ يُوحَنَّا لنا يسُوعَ المسيح، لكي نُؤمِنَ وتَكُونَ لنا حياةٌ بإسمِهِ.

الفَصلُ الأوَّل

"ثلاثُ حقائِق عنِ الخَطيَّة والخَلاص"

(يُوحَنَّا ٨: ١- ٣٦)

في الإصحاحِ السَّابِع من إنجيلِ يُوحَنَّا، نقرَأُ أنَّهُ عندما علَّمَ يسُوع، كانَ أعظَمَ مُعَلِّمٍ في العالم، وعندما وعظَ، كانَ أعظَمَ واعِظٍ في العالَمِ قاطِبَةً. كم كُنتُ أتَمَنَّى لو كانَ بإمكانِي أن أُصغِيَ إلى تلكَ العِظَة العَظيمة التي ألقاها يسُوع، والتي نَجِدُها مُدَوَّنَةً بشكلٍ مُلَخَّص في يُوحَنَّا ٧: ٣٧- ٣٩. وكما نتوقَّعُ، ظهَرَ تجاوُبٌ مُزدَوِجٌ لهذه العِظَة العظيمة.

فبعدَ الأحداث التي تمَّ وصفُها في الإصحاحِ السَّابِع، نقرَأُ أنَّ كُلَّ واحِدٍ ذهبَ إلى بيتِهِ، أمَّا يسُوعُ فصَعِدَ إلى جَبَلِ الزَّيتُون. كانت هذه عادَتُهُ. وعِندَما ذهَبَ الآخرُونَ إلى منازِلِهِم، وجدَ يسُوعُ مكاناً مُنفَرِداً لِيُصَلِّيَ فيهِ. ثُمَّ نقرَأُ أنَّهُ عندَ الفَجر، كانَ في أَروِقَةِ الهَيكَل، معَ كَثيرينَ تجمَّعُوا حولَهُ، وكانَ هُوَ جالِساً في الوَسَطِ يُعَلِّمُهُم. عندما كانَ مُعَلِّمُوا النَّامُوس يُعَلِّمُونَ وهُم جالِسين، كانَت هذه إشارَةٌ إلى سُلطَتِهِم.

فأتى إليهِ مُعَلِّمُو النَّامُوس والفَرّيسيُّون بإمرأَةٍ أُمسِكَت بِفِعلِ الزِّنَى. فجعَلُوها تَقِفُ بِخَجَلٍ أمامَ الجمُوعِ، وقالُوا لِيَسُوع: "أيُّها المُعَلِّمُ، إنَّ هذه المرأَة أُمسِكَت في فِعلِ الزِّنَى. وبِحَسَبِ النَّامُوس، أمَرَنا مُوسى بأن نرجُمَ هكذا إمرأَة. فماذا تَقُولُ أنتَ؟"

لقد كانَ سُؤالُهُم فخّاً. إعتَقَدُوا أنَّهُ سيُخالِفُ قولَ مُوسى، ولهذا أرادُوا فضحَ مَوقِفَهِ هذا الذي كانُوا يتوقَّعُونَهُ. أعتَقِدُ أنَّهُ منَ المُثيرِ للإهتِمامِ أنَّهُم كانُوا يعتقِدُونَ أنَّهُ سيُخالِفُ نامُوسَ مُوسى. كانَ ينبَغي أن يفهَمُوا بِوُضُوحٍ من تعليمِهِ، ومنَ الطريقة التي تعامَلَ بها معَ النَّاس، أنَّهُ كانَ رَحيماً وأنَّهُ كانَ يُحِبُّ بِدُونِ شُرُوط. لم يَرَ هَؤُلاء كيفَ كانَ يسُوعُ سيُمَرِّرُ نامُوسَ اللهِ عبرَ عَدَسَةِ محبَّةِ اللهِ، قبلَ أن يُطَبِّقَ هذا النَّامُوس على حياةِ النَّاس، حتَّى ولو كانُوا خُطاةً، وأن يبقَى أميناً لكُلِّ حرفٍ من نامُوسِ مُوسى.

فإنحَنَى يسُوعُ وأخذَ يكتُبُ بإصبَعِهِ على الأرض. وعندما أصَرُّوا على الإستِمرارِ بطَرحِ سُؤالِهِم، وقفَ يسُوعُ وقالَ لهم، "من كانَ منكُم بِلا خَطِيَّة، فليَرمِها أوَّلاً بِحَجَر." ثُمَّ إنحَنَى مُجدَّداً وتابَعَ الكتابَةَ على الأرض.

وجواباً على هذا السُّؤال، أُولئِكَ الذينَ أرادُوا إدانَةَ هذه المرأة ورجمَها، بدأُوا يُغادِرُونَ، واحِداً بعدَ الآخر، مُبتَدِئِينَ منَ الشُّيُوخ، إلى أن بَقِيَ يسُوعُ وحدَهُ والمرأة واقِفَةً أمامَهُ. فوقفَ يسُوعُ وسألَها قائِلاً، "يا إمرَأَة، أينَ هُم المُشتَكُونَ عليكِ؟ أما دانَكِ أحَدٌ؟" فأجابَتْهُ، "لا أحَد يَا سَيِّد."

المَعنَى العميق والمُباشَر هُنا هُوَ أنَّهُ لَم يَدِنْها ولا أيُّ إنسان، ولكنَّ يَسُوع هُوَ أكثَر من مُجَرَّدِ إنسان. فبِحَسَبِ السُّؤال الذي أجابَ بهِ يسُوعُ سُؤالَ رِجالِ الدِّين، الإنسانُ الوحيدُ الذي كانَ مَوجُوداً هُناك، وكانَ يَحِقُّ لهُ أن يرمِيَها بِحَجَرٍ في ذلكَ اليوم، كانَ يسُوع. وهذا يجعَلُ من كَلِماتِهِ لهذه المرأة، أجمَلَ كَلِماتٍ يُمكِنُ أن يسمَعَها الخاطِئُ:" ولا أنا أدينُكِ. إذهَبِي ولا تُخطِئي أيضاً."

لاحِظُوا أنَّهُ في إنجيلِ يُوحَنَّا، إحدَى الطُّرُق التي يُعَلِّمُ بها يسُوعُ، هي ما نُسَمِّيهِ "العمَل الرَّمزِيّ." لقد أحَبَّ الأنبياءُ أن يُعَلِّمُوا مُستَخدِمينَ أعمالاً رمزِيَّة. كانَ إرميا بطلَ هذا الأُسلُوبِ الرَّمزِي منَ التَّعليم، ودُعِيَ حزقِيالُ "بالنَّبِيِّ التَّمثِيلِيّ" لأنَّهُ مثَّلَ عظاتِهِ.

فإرميا مثلاً أخذَ وِعاءً كبيراً إلى الهَيكَلِ، عندما كانَ الهيكَلُ مُكتَظّاً بالنَّاس. ثُمَّ ألقَى بالوعاءِ الخَزَفِيِّ إلى الأرض، مُحطِّماً إيَّاهُ إلى قطَعٍ صَغيرة، وبعدَ ذلكَ ألقَى عِظَةً جبَّارَةً، أعلنَ فيها التَّالِي: "هذا ما سيَعمَلهُ اللهُ بهذه الأُمَّة، إن لم تَتُوبُوا عن خطاياكُم، وسوفَ يستَخدِمُ اللهُ البابِلِيِّينَ ليعمَلُوا ذلكَ!" بإمكانِنا أن نتأكَّدَ أن إرميا لفتَ إنتِباهَ أُولئِكَ الذين سَمِعُوا تلكَ العِظَة، قبلَ أن يُلقِيَها! كَثيرُونَ منَ الأنبياء أمثال إرميا وحزقِيال وعظوا وهُم يستخدِمُونَ الأعمال الرَّمزِيَّة.

في رُوحِ الأنبياء، لاحِظُوا كَم من عِظاتِ يسُوع العَظيمة قد سُجِّلَت في هذا الإنجيل، كم منها تبدأُ بعملٍ رَمزِيٍّ عَمِلَهُ يسُوع. فالإصحاحُ الثَّانِي بِأكمَلِهِ يُمكِنُ أن نُصَنِّفَهُ ضِمنَ هذا المجال. في الإصحاحِ الثَّالِث، نَجِدُ أكثَرَ تصريحاتِ المسيح عقائِدِيَّةً، نَجِدُها تُستَبَقُ باللِّقاءِ معَ نيقُوديمُوس. في الإصحاحِ الرَّابِع، يستَبِقُ يسُوعُ تصريحَهُ الذي قالَ فيهِ أنَّهُ ماءُ الحياة الذي يُروِي عطَشَنا، والذي يُصبِحُ نبعاً يشرَبُ منهُ الآخرُونَ مياهً حيَّةً. في الإصحاحِ نفسِهِ، نَجِدُ أنَّ تعليمَهُ العَظيم عنِ الزَّرع والحِصادِ الرُّوحِيّ قد إستَبَقَهُ يسُوعُ بمُقابَلَةٍ معَ امرأةٍ عطشَى، إكتَشَفَت ماءَ الحياة وأَصبَحَت نبعاً حقَّقَ منهُ الآخرُونَ الإكتشافَ نفسَهُ، أي أنَّهُم أصبَحُوا يشرَبُونَ ماءَ الحياةِ ويرتَوُونَ إلى الأبد.

ثُمَّ يستَبِقُ يسُوعُ هذا الحوارَ العظيم معَ رجالِ الدِّين، الذي من خلالِهِ يُعَلِّمُ عدَّةَ أُمُورٍ، إستَبَقَ ذلكَ بِشِفاءِ الرَّجُلِ عندَ بِركَةِ بيتِ حسدا. في الإصحاحِ السَّادِس، أطعَمَ يسُوعُ خمسَةَ آلافِ عائِلَةٍ جائعة، ثُمَّ ألقَى عِظَتَهُ عن كَونِهِ خُبز الحياة.

يبدَأُ الإصحاحُ الثَّامِنُ بِعمَلٍ رَمزِيٍّ آخر، الذي هُوَ كَلِماتُ يسُوع المُحِبَّة لهذه المرأة الخاطِئة. لا شَكَّ في أنَّهَا كانت خاطِئَةً، أو في كونِها قد أُمسِكَت في فعلِ الزِّنَى. وهكذا أتبعَ يسُوعُ هذا العملَ الرَّمزِيَّ بعِظَةٍ ديناميكيَّةٍ فصيحة عن الخطيَّة.

عندما أجابَ يسُوعُ على سُؤالِ الكَتَبَة والفَرِّيسيِّين، بِسُؤالِهِ العميق، منَ المُثيرِ للإهتِمامِ أنَّهُم، بدأُوا مُبتَدَأً منَ الشُّيُوخِ إلى الأصغَرِ سِنَّاً، كما تَقُولُ إحدَى التَّرجماتُ، "مُبَكِّتِينَ بِضَميرِهِم على خطاياهُم، بِمُغادَرَةِ المكانِ

واحداً بعدَ الآخر بِدُونِ أن يَرمُوها بِحَجَرٍ، إلى أن بَقِيَ يسُوعُ والمرأَةُ وحدَهُما."

جَرَتْ الكثيرُ منَ الإفتِراضاتِ لمُحاوَلَةِ معرِفَةِ ماذا كتبَ يسُوعُ على الأرض، بينَما كانَ يتجاهَلُ هؤُلاء المُتَّهِمِين. قرأتُ ما كتَبَهُ أحدُ المُفَسِّرينَ التَّقَوِيِّين، الذي لمَّحَ أنَّهُ لرُبَّما كانَ يسُوعُ يكتُبُ أسماءَ الرِّجالِ الواقِفينَ حولَ المرأَةِ الزَّانِيَة ليَرجُمُوها، والذين مارَسُوا معَها خَطِيَّةَ الزِّنى في الماضِي. رُغمَ أنَّ هذا التَّفسير هُو مُجرَّدَ إفتِراضٍ وتحامُلٍ على النَّصّ بإقحامِ ما ليسَ مَوجُوداً فيهِ، ولكنَّهُ يجعَلُنا نتساءَلُ عمَّا كتبَهُ يسُوع على الأرض.

يقتَرِحُ البَعضُ أنَّهُ كانَ يكتُبُ وصايا، أدركَ هؤُلاء النّاس المُتجمهِرينَ حولَهُ أنَّهُم كَسَرُوها. فكَونُهُ هُوَ الله، وكونُهُ يعرِفُ ما كانَ في الإنسان، يفسحُ المجالَ أمامَ إفتِراضاتٍ لا نهايَةَ لها. فلَرُبَّما كانَ يكتُبُ على الأرضِ أُموراً لا شأنَ لهُم بها، ليُظهِرَ لهُم أنَّهُ كانَ يتجاهَلُهُم. ولكنَّ قَلبَ هذه الحادِثَة كانَ مَوقِفُهُ تجاهَ الخَطيَّة، والطَّريقَة التي بها تعاطَى بها معَ خاطِئٍ مُذنِب.

إحدَى الطُّرُق لإعلانِ رأيٍ عن نُفُوسِنا، هي الطريقة التي بها نُقارِنُ أنفُسَنا بالآخرين. فعندما إتَّهَمَ رِجالُ الدِّينِ هؤُلاء المرأةَ بإرتِكابِ خَطِيَّةِ الزِّنَى، سألَهُم يسُوعُ بِحِكمَة، "هل أنتُم بِدُونِ خَطيَّة؟ من كانَ منكُم بِلا خَطِيَّة، فليَرْمِهَا أوَّلاً بِحَجَر." فأدرَكَ الشُّيُوخُ قبلَ الشُّبَّان أنَّهُم خُطاةٌ. فإن كُنتَ تَظُنُّ أنَّكَ لَستَ خاطِئاً، قد نتساءَلُ، "كم عُمرُكَ؟" أُولئِكَ الذين كانُوا قد أصبَحُوا في الخَمسينَ من عُمرِهِم، كانَ لديهِم جوابٌ أكثَرُ صِدقاً على هذا السُّؤال من أُولئكَ الذين كانُوا لا يزالُونَ في العِشرين.

في الإصحاحِ الثَّالِث من هذا الإنجيل، نقرأُ أنَّ يسُوعَ لم يأتِ إلى العالم لِيَدِينَ العالم، بَل لِيَخلُصَ بهِ العالَمُ (يُوحَنَّا ٣: ١٦- ١٨). فهُوَ لم يكتَفِ بِمُجَرَّدِ الوَعظِ بالحقيقَة. ولقد أظهَرَ هذا البُعدَ من رسالَةِ إنجيلِهِ. أعتَقِدُ أنَّ الخُطاةَ بإمكانِهِم أن يقرَأُوا هذا الأمرَ في عَينَيهِ وفي تعابِيرِ وجهِهِ عندما نظرَ إليهِم.

فَلِماذا بدا الخُطاةُ وكأنَّهُم أحبُّوا يسُوعَ وأحبُّوا رِفقَتَهُ؟ عندما ذهبَ ليأكُلَ معَ العَشَّارِينَ والخُطاة، لم يَشعُرُوا فقط بالرَّاحَةِ لكَونِهِم مَعَهُ؛ بل بدَوا

أنَّهُم أحَبُّوا وُجُودَهُ معَهُم. هل كانَ ذلكَ لأنَّهُ ضَحِكَ على نُكاتِهِم المَشبُوهَة، أم لأنَّهُ وافَقَ على ما كانُوا يقُولُونَهُ ويفعَلُونَهُ؟ كلا بتاتاً!

أنا مُقتَنِعٌ أنَّ السَّبَبَ هُوَ لأنَّهُ أحبَّهُم، وهُم عرفُوا أنَّهُ أحبَّهُم. لقدِ إستطاعُوا أن يَرَوا ذلكَ في عَينَيهِ. وإستطاعُوا قراءَةَ ذلكَ في وجهِهِ. وشعرُوا من خلالِ نبراتِ صَوتِهِ أنَّهُ لم يأتِ لِيَدِينَهُم. بل أظهَرَ لهُم وأخبَرَهُم بأنَّهُ لم يَدِنْهُم.

ولقد عبَّرَ أيضاً عن محبَّتِهِ لهذه المرأة عندما قالَ لها، "إذهَبِي ولا تُخطِئي أيضاً." أحدُ الكُتَّابِ المُفضَّلينَ عندي، كتبَ مرَّةً أنَّهُ تُوجَدُ ثلاثُ حقائِق عنِ الخَطيَّة. أوَّلاً: الخطيَّة لها عِقابٌ. ثانِيَاً: الخطيَّة لها سُلطة. ثالِثاً: الخطيَّة لها ثَمَنٌ. هذه هي الحقائِقُ الثَّلاث عنِ الخطيَّة.

ولقد كتبَ يقُولُ أيضاً أنَّهُ تُوجَدُ ثلاثُ حقائِق عنِ الخلاص. أوَّلاً: عقابُ الخطيَّةِ أُلغِيَ بسببِ موتِ يسُوع المسيح. فأوَّلُ حقيقَةٍ عنِ الخطيَّة تمَّ التغلُّبُ عليها بالحقيقةِ الأُولى عنِ الخلاص – أي بما فعلَهُ يسُوعُ عندما ماتَ على الصَّليب.

ثانِياً: الحقيقَةُ الثَّانِيَة عنِ الخلاص هي أنَّ الرُّوحَ القُدُسَ هو سُلطَةٌ قويَّةٌ بِشكلٍ كافٍ لتُسيطِرَ على الخطيَّة. "لأنَّ الذي فيكُم أقوَى منَ الذي في العالم." (١يُوحَنَّا ٤: ٤). بهذه الطريقة عبَّرَ هذا الرَّسُول عن الحقيقَةِ الثَّانِيَة عنِ الخلاص في رسالَتِهِ التَّأكيديَّة التي جاءَت في نهايَةِ العهدِ الجديد. فإذا آمنتَ، وإذا شَرِبتَ من ماءِ الحياة، وإن كانَ الرُّوحُ القُدُسُ يتدفَّقُ منكَ مثلَ نبعٍ أو نهرٍ، عليكَ أن تُدرِكَ أنَّ الرُّوحَ القُدُسَ هُوَ أيضاً سُلطَةٌ قادِرَةٌ بأن تتغلَّبَ على الخَطيَّةِ في حياتِكَ. هذه هي الحقيقَةُ الثَّانِيَة عنِ الخلاص: الخطيَّةُ هي سُلطة، ولكنَّ الرُّوحَ القُدُسَ هُوَ سُلطةٌ أكبَر وأعظم من سُلطَةِ الخطيَّة.

الحقيقَةُ الثَّالِثَة عنِ الخطيَّة هي الأكثَرُ صُعُوبَةً للتَّغلُّبِ عليها من خلالِ مُعجِزَةِ الخلاص. فالذي نُسَمِّيهِ "لَطخَة" الخطيَّة أو ثَمَن الخطيَّة، يترُكُ سِماتٍ لا تُمَّحَى. كتبَ بُولُس يَقُولُ أنَّ الخَطِيَّةَ تستَحِقُّ أُجرَتَها، ويَصِفُ أُجرَتَها بكَونِها "المَوت." (رُومية ٦: ٢٣). إستِعارَةُ المَوت المجازِيَّة في هذا الإطار تعني أسوأَ العواقِب.

فيُمكِنُ أن تَكُونَ عواقِبُ الخطيَّةِ رهيبَةً، وغالِباً ما تَكُونُ لا يُمكِنُ تحاشِيها. فلا يُمكِنُنا أن نُعيدَ البيضَ المخفُوق ليرجِعَ على شكلِهِ الأساسِي كما خرجَ منَ الدَّجاجة، وهكذا أيضاً عواقِبُ الخطيَّةِ لا يُمكِنُ درؤُها أو إرجاعُها. أسوأُ عواقِبِ الخطيَّة يُمكِنُ وَصفُها بِكَونِها "سِماتٍ لا تُمَّحَى." مثلاً، إذا إقتَرَفنا خَطِيَّةَ القَتلِ، وجئنا إلى يسُوع طالبينَ الغُفران، فإنَّ العقابَ الذي نستَحِقُّهُ على خَطيَّتِنا في الأبديَّة يُمَّحى بالِصليبِ. ولكنَّ هذا لا يُعيدُ الضَّحِيَّةَ إلى الحياة، ولا يُحَرِّرُنا من السِّجنِ والعِقابِ الذي يرى المُجتَمَع أنَّنا نَستَحِقُّهُ.

تُوجَدُ كَلِمَةٌ جَميلَةٌ في الكتابِ المُقدَّس، التي تَصِفُ الطريقة التي بها يتغلَّبُ اللهُ على الحقيقَةِ الثَّالِثَة عنِ الخطيَّة، بواسِطَةِ الحقيقَةِ الثَّالِثَة عنِ الخلاص. إنَّها كَلِمَة "مُبَرَّرِين." فعندما نُؤمِنُ بالمسيح للخلاصِ والغُفران، لا يتوقَّفُ الأمرُ عندَ الغُفرانِ لنا ومُسامَحَتِنا. بل نُصبِحُ وكأنَّ خطيَّتَنا لم تحدُثْ أصلاً.

تصوَّرُوا أنَّ حياتَكُم هي شَريطٌ مُسجَّل. وتصوَّرُوا أنَّ المسيحَ سوفَ يجعَلُكُم تُشاهِدُونَ شَّريطَ حياتِكُم أمامَ كُرسِيِّ دينُونَتِهِ. ولكن قبلَ أن يُشَغِّلَ شريطَ حياتِكُم، يقطَعُ الشَّريط من حيثُ تبدأُ خطيَّتُكُم وإلى حَيثُ تنتَهِي. ويرمي بَعيداً بهذه القطعة منَ الشَّريط التي تَصِفُ خطاياكُم. وعندَما يُشَغِّلُ الشَّريط، تبدُو حياتُكُم وكأنَّكُم لم تُخطِئوا أصلاً.

وإلى جانِبِ عبارَةِ الإنجيل الجميلة التي هي "مُبَرَّرِين،" تُوجَدُ أيضاً عبارة "أمامَ عينيهِ" التي نَجِدُها أكثَر من مائة وخمسينَ مرَّةً في العهدِ الجديد. أمامَ عينيهِ، لا تُوجَدُ خَطيَّة. ورُغمَ أنَّهُ تُوجَدُ سماتٌ لا تزالُ تُلطِّخُ المُستَوى الأُفُقِي في العلاقاتِ البَشَريَّة، ولكن أمامَ اللهِ لا تُوجَدُ سماتٌ ولا لَطخاتٌ. قد تُقدِّرُونَ قيمَةَ كون هذه الحقيقة أخباراً سارَّة، إذا قدَّمتُ لكُم إيضاحاً عنها.

تصَوَّرُوا أنَّكُم تُحاكَمُونَ على جَريمَةٍ أنتُم منها بَرَاء. ومُحاكَمَتُكُم تَتِمُّ أمامَ قاضٍ في قاعَةِ محكَمَةٍ تعُجُّ بالمُتَفَرِّجِين. وقد تحتاجُونَ إلى مُحامٍ ليُقنِعَ القاضِي بِبراءَتِكُم، وليسَ أن يُقنِعَ القاعَةَ المليئَةَ بالمتُفَرِّجِين. قد يستَطيعُ المُحامِي أن يُقنِعَ الجُمهُورَ الذي يحضُرُ محاكَمَتَكُم بأنَّكُم أبرياء، ولكن إن لم يقتَنِع القاضِي، سوفَ تُوجَدُونَ مُذنِبين. ولكن، حتَّى ولو ظَنَّ جميعُ

المُتَفَرِّجينَ أنَّكُم مُذنِبُونَ، ولكنْ إذا ظَنَّ القاضِي أنَّكُم أبرِياء، فسوفَ يُطلَقُ سراحُكُم. القَضيَّةُ الهامَّةُ هي ما يعتَقِدُهُ القاضِي صحيحاً حيالَ ذَنبِكُم أو براءَتِكُم.

تعلَّمنا في الإصحاحِ الخامِس أنَّ الآبَ لن يَدينَ النَّاس، بل قد أعطَى كُلَّ الدَّينُونَةِ للإبن (٥: ٢٢). عندما نظهَرُ أمامَ دَيَّان كُلِّ الأرض، هذا البُعد الأُفُقِيّ للدَّينُونَة والتَّبرير من قِبَلِ النَّاس سوفَ يُصبِحُ بِدُونِ معنىً. البُعدُ الوَحيدُ للدَّينُونَةِ والتَّبرير، الذي سوفَ يكُونُ مُهِمَّاً عندَها، سيَكُونُ ما يَظُنُّهُ المسيحُ عن ذَنبِكُم وبراءَتِكُم. هذا يجعَلُ من الكلماتِ الثَّلاث التي تظهَرُ عدَةَ مرَّاتٍ في العهدِ الجديد، يجعَلُ منها أخباراً سارَّةً جداً. إنجيلُ التَّبرير هو أنَّهُ "أمامَ عينَيِ اللهِ" سوفَ نَكُونُ أبراراً وكأنَّنا لم نُخطِئْ أصلاً.

ولكن تُوجَدُ وَصَماتٌ لِلخَطِيَّةِ لا تُمَّحَى في حَياتِنا، وخاصَّةً على المُستَوى الأُفُقِيّ في علاقَاتِنا. فعندما نُخطِئُ، نحنُ لا نَتَسَبَّبُ فقط بِوَصمَةٍ لِنُفُوسِنا، بل وَلِلآخرين حولَنا أيضاً. هذا ما قَصَدَهُ مارتن لُوثر عندَما قالَ أنَّ "الخطايا هي عادَةً توائِم." فبِما أنَّنا نُخطِئُ معَ شَخصٍ آخر، نترُكُ وصَماتٍ على حياتِه كما نترُكُ على حياتِنا.

وبِكَلِماتِ يَعقُوب، عندما نخرُجُ إلى العالَم، وكأنَّنا نرتَدي ثَوباً أبيَضَ نقِيَّاً لا عَيبَ فيهِ. وعندما نُخطِئُ، نضَعُ لطخَةً أو وصمَةً على هذا الثَّوب، ولَرُبَّما نضَعُ أيضاً وصمةً على ثَوبِ الشَّخصِ الآخر. وهكذا نستَمِرُّ بتلطيخِ هذا الثَّوب بالخَطيَّة، حتَّى أنَّنا عندما نقتَرِبُ منَ المسيح، يبدُو ذلكَ الثَّوبُ وكأنَّهُ ثوبُ رَسَّام، مُلطَّخٌ بالألوانِ في كُلِّ مكانٍ.

ولكنَّنا الآن، عندما نقتَرِبُ منَ المسيح، يَكُونُ هذا الثَّوبُ في عَينَيهِ خالِياً من كُلِّ وصمة. ولكن على المُستَوى الأُفُقِيّ، أي في علاقَتِنا معَ الآخرين، سيكُونُ منَ الصَّعبِ جدَّاً، وأحياناً سيَكُونُ منَ المُستَحيلِ أن نمحِيَ هذه الوصماتِ. فعلى المُستَوى الأُفُقِيّ، حتَّى اللهَ لا يستَطيعُ أحياناً أن يمحِيَ مُشكِلَةَ الوَصَماتِ، السِّماتِ، أو العواقِبِ الحتميَّة لِلخَطيَّة. لهذا أشَرتُ إلى أنَّ يسُوعَ أظهَرَ محبَّةً عظيمَةً لهذه المَرأة عندما قالَ، "إذهَبِي الآن ولا تُخطِئِي أيضاً."

بما أنَّهُ تُوجَدُ وَصَماتٌ لِلخَطيَّة لا تُمَّحَى على المُستَوى الأُفُقِيّ، عندما يَكُونُ ولَدُكَ خارِجاً في العالم، وأنتَ عالِمٌ بأنَّهُ لا يَسيرُ معَ الرَّبّ، ما ينبَغي

أن تُصَلِّيَ لأجلِهِ هُوَ، "يا الله، إحفَظْهُ [أو إحفَظْها] منَ الوَصَماتِ التي لا تُمَّحَى. لهذا يُعَلِّمُنا الكتابُ المُقدَّسُ بأن لا نُخطِئَ. فاللهُ يُحِبُّنا ويُريدُنا أن نحمِيَ أنفُسَنا منَ عواقِبِ الخطيَّة الرَّهيبة. فلا يُوجَدُ أيُّ شَيءٍ صالِحٍ في الخطيَّة. أكُرِّرُ هذا. لا يُوجَدُ أيُّ أمرٍ صالِحٍ في الخطيَّة. فلا تُخطِئُوا. "إذهَبوا ولا تُخطِئُوا أيضاً."

الأخبارُ السَّارَّةُ عن أوَّلِ حقيقَتَينِ للخلاص، هي أنَّ عِقابَ الخطيَّةِ قد أُزيلَ، وأن سُلطَتَها يُمكِنُ أن تُغلَبَ. ولكن أُفقِيّاً ، يُمكِنُ أن تبقَى تسعيرَةُ الخَطيَّةِ باهِظَةً جدّاً. "أُجرَةُ الخَطيَّةِ هي مَوتٌ." ما يعنيهِ هذا هُوَ أنَّهُ لا يُوجَدُ شَيءٌ صالِحٌ في عواقِبِ الخطيَّة.

الحقيقَةُ الدِّيناميكيَّةُ التي ينبَغي إكتِشافُها في العَمَلِ الرَّمزِيِّ الذي يبدَأُ بهِ هذا الإصحاح، هُوَ مَوقِفُ يسُوع تجاهَ الخاطِئ، وموقِفُ ذلكَ الخاطِئ تجاهَ يسُوع، وموقِفُ يسُوع تجاهَ الخَطيَّة. ما يُعَلِّمُنا إيَّاهُ هذا العَمَلُ الرَّمزِيُّ هُوَ إيضاحٌ جميلٌ عنِ الإنجيل الذي جاءَ يسُوعُ ليُؤسِّسَهُ وينشُرَهُ في هذا العالم.

لدينا أيضاً موقِفُ يسُوع تِجاهَ المُتَّهِمِينَ النَّامُوسيِّين. فقِصَّةُ لِقاءِ يسُوع معَ هذا الخاطِئ تضعُ أساساً مَتيناً لِعِظَةٍ رائِعَةٍ ألقاها يسُوعُ عنِ الخطيَّةِ وعواقِبِها. في تعليقي على الإصحاحِ السَّابِع (كما وردَ في الكُتَيِّب رقم ٢٤)، أشَرتُ إلى أنَّ يسُوع كانَ واعِظاً عظيماً. فنحنُ سوفَ نُشاهِدُ هذا يتكرَّرُ هُنا في الإصحاحِ الثَّامِن. يُقالُ أنَّكَ عندما تقرَأُ الكتابَ المُقدَّسَ، إذا فتَّشتَ عن لا شَيء، سوفَ تَجِدُ ضالَّتَكَ المَنشُودَة. لهذا أوَدُّ أن أُعطِيَكَ فرضاً منزِلِيّاً تقُومُ بهِ. أوَدُّ أن ألفُتَ إنتباهَكَ إلى الأُمُورِ التي عليكَ أن تبحَثَ عنها في هذا الإصحاحِ الثَّامِن من إنجيلِ يُوحَنَّا.

تَذَكَّرْ أنَّ هذا لا يزالُ جزءاً من مُحادَثَة يسُوع العدائِيَّة معَ رِجالِ الدِّين. هذا الحِوار سوفَ يَصِلُ الآنَ إلى ذُروَتِهِ. وعندما يَصِلُ إلى الذُّروَة، سوفَ نقرَأُ الأخبارَ السَّارَّةَ عن أنَّ بعضَ رِجالِ الدِّين اليَهُود قد تجَدَّدُوا. نَجِدُ مقطعاً عظيماً منَ الإنجيل عندَما نقرَأُ هُنا: "وبَينما هُوَ يتكلَّمُ بِهذا، آمنَ بِهِ كَثيرُون. فقالَ يسُوعُ لِليَهُودِ الذين آمنُوا بهِ، إنَّكُم إن ثَبَتُّم في كلامِي فبالحَقيقَةِ تَكُونُونَ تلاميذِي. وتَعرِفُونَ الحَقَّ، والحَقُّ يُحَرِّرُكُم."

"أجابُوهُ [أي الذين لم يُؤمِنُوا بهِ] إنَّنا ذُرِّيَّةُ إبراهِيم ولم نُستَعبَدْ لأحَدٍ قَطّ. كيفَ تَقُولُ أنتَ إنَّكُم تَصيرُونَ أحراراً. أجابَهُم يسُوعُ الحَقَّ الحَقَّ أقُولُ لكُم إنَّ كُلَّ من يعمَلُ الخَطيَّة هُوَ عبدٌ لِلخَطيَّة. والعَبدُ لا يَبقَى في البَيتِ إلى الأبد، أمَّا الإبنُ فيَبقَى إلى الأبد. فإن حَرَّرَكُم الإبنُ فبالحَقيقَةِ تَكُونُونَ أحراراً." (يُوحَنَّا ٨: ٣٠- ٣٦)

وعلى مِثالِ عظَتِهِ المُؤَثِّرَة التي ألقَاها في اليَومِ الأخير منَ العِيد، كانت رِسالَةُ يسُوع الدِّينامِيكيَّة هذهِ قد لاقَت تجاوُباً مُتناقِضاً. آمنَ البَعضُ من السَّامِعين، ولكنَّنا نقرَأُ في نهايَةِ الإصحاح: "فرَفَعُوا حجارَةً لِيَرجُمُوهُ، أمَّا يسُوعُ فاختَفَى وخَرَجَ منَ الهَيكَلِ مُجتازاً في وَسَطِهِم ومضَى هكذا." رُغمَ أنَّ يسُوعَ ألقَى عِظَتَهُ في إطارِ حِوارٍ، بينما تقرأُ هذا الإصحاح، حاوِلْ أن تُلَخِّصَ جوهَرَ ما وعظَ بهِ. وبينما تَقُومُ بالتَّلخيص، لاحِظ أنَّهُ بالنَّتيجَة، قالَ يسُوعُ لهؤُلاء الكتبَة والفَرِّيسيِّين ما معناهُ: "لأنِّي أعلَمُ من أينَ أتَيتُ وإلى أينَ أذهَبُ. وأمَّا أنتُم فلا تعلَمُونَ من أينَ آتي ولا إلى أينَ أذهَبُ، لأنَّكُم تحتَ سيطَرَةِ الجَهل. أنتُم تأتُونَ منَ الجَهل. وأنتُم مُقادُونَ بالجَهل، وسوفَ تَمُوتُونَ في جهلِكُم، إن لم تُؤمِنُوا بي." (يُوحَنَّا ٨: ١٤، ١٩).

ثُمَّ وعظَ قائِلاً ما معناهُ، "أنتُم تأتُونَ منَ الخَطيَّة، وأنتُم عبيدٌ لِلخَطيَّة، وسوفَ تَمُوتُونَ في خطاياكُم إن لَمْ تُؤمِنُوا بِي." (٢١- ٢٤) ثُمَّ يُتابِعُ القَول: "أبُوكُم هُوَ إبليس. أنتُم من أبٍ هُوَ إبليس، وأنتُم تحتَ سَيطَرَةِ إبليس، وسوفَ تذهَبُونَ إلى إبليس إن لم تُؤمِنُوا بي." (٣٧- ٤٤) ثُمَّ تابَعَ قائِلاً في وعظِهِ: "أنا من فَوق، أمَّا أنتُم فمِن أسفَل." بِكَلماتٍ أُخرى، "أنتُم تأتُونَ منَ الجحيم، وأنتُم تحتَ سَيطَرَةِ قُوَّةِ الجحيم، وسوفَ تذهَبُونَ إلى الجحيم إن لم تُؤمِنُوا بِي." (يُوحَنَّا ٨: ٢٣- ٢٤).

هذا تفسيرٌ وتلخيصٌ للطَّريقَةِ التي بها يُلَخِّصُ يُوحَنَّا عِظَتَهُ. أنظُرُوا إن كانَ بإمكانِكُم أن تستَخلِصُوا هذه الرِّسالَة من الحِوارِ المَذكُورِ في هذه الأعداد التي تتبَعُ قِصَّةَ المرأة التي أُمسِكَت في زِنىً. تَتَبَّعُوا هذا الحِوارَ من حيثُ بدأَ في الإصحاحِ الخامِس، وُصُولاً إلى نهايَةِ الإصحاح الثَّامِن، حيثُ حملَ البعضُ منهُم حجارَةً لِيَرجُمُوهُ. عندما تُفَسِّرُونَ وتُلَخِّصُونَ ما قالَهُ بالفِعل للفَرِّيسيِّين ولِمُعَلِّمِي النَّامُوس، سوفَ تفهَمُونَ لماذا قامَ الذين لم

يُؤمِنُوا بهِ بحملِ حجارَةٍ ليَرجُمُوه. فما قالَهُ لهُم لم يَكُن وقعُهُ طَيِّباً على أسماعِهم، ولكنَّهُ كانَ تعليماً عقائِدِيَّاً ديناميكيَّاً قَوِيَّاً.

كيفَ تَظُنُّونَ كانَ الإصغاءُ إلى يسُوع وهُوَ يَعِظُ؟ لا أتعجَّبُ من كَونِ رِجالِ الدِّين قد إمتلأُوا غَيظاً عندما سَمِعُوهُ يَعِظ، لدَرَجَةِ أنَّهُم حمَلُوا حجارَةً لِيَرجُمُوه. ولا أتعجَّبُ أيضاً أنَّ الكَثيرَ منَ اليَهُودِ آمنُوا نتيجَةً لِعظتِهِ. فلقد أوصاهُم يسُوعُ أن يثبتُوا في كَلامِهِ ليُصبِحُوا تلاميذَهُ بِحَقٍّ (يُوحَنَّا ٨: ٣٠-٣٦)

خلالَ دَرسِكَ أيُّها القارِئُ العَزيز هذا الحِوارَ العَدائِيّ هُنا في الإصحاحِ الثَّامِن، هل سبقَ وإتَّخَذتَ قرارَكَ حيالَ يسُوع؟ إن كُنتَ تُفَكِّرُ مَعي من خلالِ هذه الإصحاحاتِ الثَّمانِيَة من إنجيلَ يُوحَنَّا، دَعني أتَحدَّاكَ بالسُّؤالِ التَّالي. ماذا تُؤمِنُ أنتَ شَخصِيَّاً بالمسيح؟ إن كُنتَ قد تفحَّصتَ كُلَّ تصريحاتِ يسُوع هذه، خاصَّةً في الإصحاحاتِ الخامِس، السَّادِس، السَّابع والثَّامِن، أتساءَلُ هل أصبحتَ تُؤمِنُ بالمسيحِ وهُوَ يُقَدِّمُ هذه التَّصريحات؟

قالَ يسُوعُ للَّذِينَ آمنُوا به، بأن يثبُتُوا بكلامِهِ ليُصبِحُوا تلاميذَهُ بِحَقٍّ (٣٠- ٣٦). فهل أنتَ مُستَعِدٌّ لِتَسمَعَ هذه الكلمات التي قالَها يسُوع، "إن ثَبَتُّم في كلامِي فبالحَقيقَةِ تَكُونُونَ تلاميذِي"؟ أم أنَّهُ يتوجَّبُ عليكَ أن تَكُونَ صادقاً فكريَّاً معَ نفسِكَ، وأن تَرجُمَهُ من حياتِكَ إلى الأبد؟ تَذَكَّرْ أنَّهُ يترُكُ أمامَكَ فقط هذه الخَيارات: بإمكانِكَ أن تُقَرِّرَ أنَّهُ كانَ كاذِباً؛ أو بإمكانِكَ أن تَكُونَ لطيفاً فتُقَرِّرُ أنَّهُ كانَ مجنُوناً؛ أو سيتوجَّبُ عليكَ أن تُقَرِّرَ أن تَدعُوَهُ رَبَّكَ ومُخَلِّصَكَ الشَّخصِيّ.

هذا من هُوَ يسُوع، وهذا ما هُوَ الإيمانُ، وهذا ما هِيَ الحياةُ في الإصحاحِ الثَّامِن من إنجيلِ يُوحَنَّا.

الفَصلُ الثَّانِي
"ثلاثَةُ أبعادٍ للإيمانِ"
(يُوحَنَّا ٨: ٣٠- ٣٦)

عندما إنتهى يسُوعُ من إلقاءِ عِظَتِهِ الدِّينامِيكيَّة، التي نراها مُدوَّنَةً في الإصحاحِ الثَّامِن من إنجيلِ يُوحَنَّا، نَجدُ كما هُوَ مُتوقَّعٌ أنَّهُ كان هُناكَ تجاوُبٌ سَلبِيٌّ وإيجابِيّ. يُعطينا التَّجاوُبُ الإيجابِيُّ واحداً من أجمَلِ مقاطِعِ

العهدِ الجديد. عندما نقرَأُ أنَّ الكثيرَ من رجالِ الدِّين اليَهُود آمنُوا بهِ، نقرأُ أنَّ يسُوعَ قالَ لهؤُلاء اليَهُودِ الذين آمنُوا بهِ:

"إنَّكُم إن ثَبَتُّم في كَلامي فبالحَقيقَةِ تَكُونُونَ تلاميذِي. وتَعرِفُونَ الحقَّ والحَقُّ يُحَرِّرُكُم. أجابُوهُ إنَّنا ذُرِّيَّةُ إبراهِيم، ولم نُستَعبَدْ لأحَدٍ قَطّ. كيفَ تَقُولُ أنتَ إنَّكُم تَصِيرُونَ أحراراً؟ أجابَهُم يسُوعُ الحقَّ الحَقَّ أقُولُ لكُم إنَّ كُلَّ من يعمَلُ الخَطيَّة هُوَ عَبدٌ لِلخَطيَّة. والعَبدُ لا يبقَى في البَيتِ إلى الأبد. أمَّا الإبنُ فيبقَى إلى الأبد. فإن حَرَّرَكُم الإبنُ، فبالحَقيقَةِ تَكُونُونَ أحراراً." (٨: ٣٣-٣٦)

يسُوعُ لم يَدعُ أحداً "مسيحيَّاً،" ولم يطلُبْ من أحدٍ أن يَصيرَ "مَسيحيَّاً." والرَّسُولُ بُولُس، أعظَمُ مُرسَلٍ في تاريخِ كنيسةِ المسيحِ على الإطلاق، لم يُسَمِّ أحداً "مسيحيَّاً، ولم يَطلُب من أحدٍ أن يَصيرَ مسيحيَّاً. لا نَجِدُ كلمة "مسيحي" إلا ثلاثَةَ مرَّاتٍ في الكتابِ المُقدَّس. كانت هذه الكلمَةُ الإسمَ الذي أطلَقَهُ العالم غير المُؤمن على أتباعِ المسيح. سوفَ تَجِدُونَ هذه الكلمة تُستَخدَمُ مرَّةً واحِدَةً فقط في الكتابِ المُقدَّس من قِبَلِ مُؤمِن. كتبَ بُطرُس يَقُولُ، "إن تألَّمَ أحدٌ كَمَسيحيٍّ، فهُوَ يتبَعُ مِثالَ المسيح." فمنَ الواضِحِ أنَّ كَلِمَة "مسيحيّ" ليسَت الكلمة التي إختارَها اللهُ ويسُوعُ والرُّوحُ القُدُسُ وبُولُس الرَّسُول لوصفِ أتباع يسُوع الحقيقيِّين.

كراعِي كنيسة، غالِباً ما سَمِعتُ هذه الكلمات: "أيُّها الرَّاعِي، لستُ مُتأكِّداً من كَوني مَسيحيَّاً." كانَ جوابِي في مُعظَمِ الأحيان، "حسناً، ولكنَّ كلمة مسيحيّ ليسَ الكلمة التي يستخدِمُها الكتابُ المُقدَّسُ لوصفِ أتباعِ يسُوع. فإذا إستَخدَمنا الكلمات التي وردَت في العهدِ الجديد، لرُبَّما كانَ الأمرُ أكثَر وُضُوحاً. فيسُوعُ قالَ للنَّاس أن يُؤمِنُوا بهِ، وإذا فَعلُوا، كانَ يدعُوهُم "مُؤمنين." ولقد إستَخدَمَ الرَّبُّ يسُوعُ هذه الكلمة لأُولئكَ الذين فعلُوا أكثَرَ من مُجَرَّدِ الإيمانِ بهِ بِعقُولِهم. عندما دعا يسُوعُ أشخاصاً بالمُؤمنين، قصدَ أُولئكَ الذين آمنُوا بهِ من كُلِّ قُلُوبِهِم وإرادَاتِهِم. فبالنِّسبَةِ ليسُوع، أُولئكَ الذين آمنُوا بهِ، سَلَّمُوهُ حياتَهُم. دَعني أطرَحُ عليكَ هذا السُّؤال. إذا سَمِعتَنا نتكلَّمُ عنكَ ونُشيرُ إليكَ بأنَّكَ غير مُؤمن، هل هذا سيُشعِرُكَ بالإهانَةِ أو بالصَّدمة؟"

يعرِفُ النَّاسُ عادَةً ما إذا كانُوا مُؤمنينَ أم لا، ومُعظَمُهُم يُجيبُونَ بأنَّهُم سيشعُرُونَ بالإهانَةِ إذا تمَّ وصفُهُم بأنَّهُم غيرُ مُؤمنين. ولكنَّني بعدَ ذلكَ أتكَلَّمُ معَ النَّاسِ عنِ الولادَةِ الجديدة- عمَّا هي الولادَةُ الجديدة، وما هي دلائِلُ حُصُولِ الولادَةِ الجديدة. عندَما أسألَهُم ما إذا كانُوا مَولُودِينَ من جديد، غالِباً ما يُجيبُونَ، "كلا، بل نحتاجُ أن نُولَدَ من جديد."

وسوفَ أُرَكِّزُ الآنَ على بُعدٍ ثالِثٍ من أبعادِ الإيمان، بطرحِ السُّؤالِ التَّالِي، "هل أنتَ تِلميذٌ ليسُوع المسيح؟" الجوابُ الذي غالِباً ما أخَذتُهُ على هذا السُّؤال كانَ، "ما هُوَ التِّلميذُ؟" عندَها كُنتُ أُجيبُ: "هذه هي المُشكِلَة!" في هذا التَّعليمِ العظيم الذي قدَّمَهُ يسُوعُ لأُولئكَ الذين إعتَرَفُوا بأنَّهُم يُؤمِنُونَ، نجِدُ الإيمانَ مقدَّماً في ثلاثَةِ أبعاد. البُعدُ الأوّلُ هُوَ أن نُؤمن أو نَثِقَ بالمسيح. أن نُؤمِنَ بِكُلِّ الطُرُقِ التي أبرز يُوحَنَّا بها ماذا يعني أن نُؤمِنَ. ولكنَّ قرارَ الإيمانِ هُوَ فقط البُعدُ الأوَّلُ من أبعادِ الإيمان بالمسيح.

البُعدُ الثَّانِي للإيمانِ بالمسيح هُوَ أن نستَمِرَّ بالثَّباتِ في كلامِ يسُوع فنُصبِحَ حقيقَةً تلاميذَهُ. كلمة "تلميذ" هي كلمَةٌ جَميلة. إنَّها تُشبِهُ كلمة "مُتَعَلِّم جديد." وهي تعني شخصاً مُتَعلِّماً أو مُتَدَرِّباً يعمَلُ بما يتعلَّمُه، ويتعلَّمُ ما يعمَلُهُ.

حَيُثُ أسكُنُ حالِيَّاً، يُوجدُ مصنَعٌ للسُّفُن، ومدرسَة لتَعليمِ هذه المهنة. وهُم يَضعُونَ شُبَّاناً وشابَّاتٍ كتلامِذَة في الصَّفِّ لمُدَّةِ أُسبُوعَين. ثُمَّ يأخُذُونَهُم إلى مَصنَعِ السُّفُن، حيثُ يُطَبِّقُونَ لمُدَّةِ أُسبُوعَين ما سبقَ وتعلَّمُوهُ في الصَّفّ. وبعدَ أُسبُوعَينِ إضافِيَّينِ في الصَّفِّ، يذهبُونَ إلى فترَةِ أُسبُوعَينِ آخرينِ في المَشغَل، وهكذا دوالَيك. وخلالَ خمسَةِ سنواتٍ يُصبِحُونَ صانِعي سُفُن مُحتَرِفِينَ ومُتَخَصِّصِينَ في شتَّى أنواعِ الأعمالِ التَّفصيليَّةِ في صناعَةِ السُّفُن. هذا هُوَ ما قَصَدَهُ يسُوعُ عندما دعا أشخاصاً ليَتبَعُوهُ ودعاهُم تلاميذَهُ عندما فعلُوا.

بالنِّسبَةِ ليسُوع، البُعدُ الأوَّلُ من أبعادِ الإيمان هُوَ أن نَثِقَ ونُؤمِنَ بهِ. البُعدُ الثَّانِي هو أن نُصبِحَ تلاميذَهُ وأن نتبَعَهُ. ثُمَّ يتنبَّأُ يسُوعُ عنِ البُعدِ الثَّالِثِ من أبعادِ الإيمان. لم يَقُلْ لِكَم منَ الوقتِ ينبغِي أن نتبَعَهُ كمُتَدَرِّبِينَ أو كمُتَعَلِّمين قبلَ أن ندخُلَ في هذا البُعدِ الثَّالِث. بل أظهَرَ بِبَساطَةٍ هذا البُعدَ الثَّالِثَ للإيمان، عندَما قالَ، "وتَعرِفُونَ الحقَّ، والحقُّ يُحَرِّرُكُم."

عندَما أجابَهُ البعضُ منهُم قائِلين، "ماذا تقصُدُ بِقُولِكَ أنَّنا نُصبِحُ أحراراً؟ فنحنُ لسنا عبيداً." عندها قالَ لهُم يسُوع، "كُلُّ من يستَمِرُّ بفعلِ الخَطيَّة، هُوَ عَبدٌ لِلخَطيَّة." قالَ يسُوعُ ما جوهَرُ معناه أنَّ العَبدَ ليست لهُ سُلطَةٌ أن يُطلِقَ الآخرينَ أحراراً. ولكنَّ الإبنَ لهُ السُّلطةُ ليُطلِقَ العبدَ حُرَّاً. عندما أعطانا يسُوعُ هذه الإستِعارَة المجازِيَّة، قالَ، "وإن حَرَّرَكُم الإبنُ، فبالحَقيقَةِ تكُونُونَ أحراراً."

أنا مُقتَنِعٌ أنَّ ما كانَ يَقُولُهُ كانَ شَيئاً كالتَّالِي: تُوجَدُ ترنيمَةٌ نَجِدُ فيها الكلماتِ التَّالِيَة: "وراءَ الصَّفحَةِ المُقدَّسَة أبحَثُ عنكَ يا رَبّ. رُوحِي تَتُوقُ إليكَ أيُّها الكَلِمَةُ الحَيّ." لقد كانَ يسُوعُ يَقُولُ، "تعالَوا إلى كَلامِي. لأنَّكُم تُؤمِنُونَ بي، أثبُتُوا في كلامِي لتُصبِحُوا بالحقيقَةِ تلاميذِي. وكتلاميذ، عندما تَثبُتُونَ في كلامي، يوماً ما سوفَ تنطَلِقُونَ إلى ما وراءِ الصَّفحَةِ المُقدَّسة، وسوفَ تتوصَّلُونَ إلى معرِفَتي بعلاقَةٍ شَخصيَّة – أي أنَّني أنا الإبن الذي هُوَ الحقّ. وعندما تتعرَّفُونَ عليَّ شَخصيَّاً بهذه الطريقة، عندها سأُحرِّرُكُم."

عندما قالَ يسُوع، "أثبُتُوا في كلامي لتعرِفُوا الحَقَّ،" لم يقصُدْ بِبَساطَةٍ الحقَّ اللاهُوتيَّ الفِكريّ. بل قصدَ أن نأتِيَ لنعرِفَ بواسِطَةِ العلاقَةِ الشخصَ الذي هُوَ الحقّ. إنَّ كلمة "يعرِف" تُستَخدَمُ في العَهدِ القَديم بمعنَى العلاقَة الحَميمة. نقرأُ مثلاً أنَّ آدَم عرفَ إمرأَتَهُ حَوَّاء، فوَلَدَت لهُ إبناً. تعني كلمة "عرفَ" بالعِبريَّة: "عرفَ بالعَلاقَة."

في هذا المَقطَع، يُقدِّمُ يسُوعُ الإيمانَ في ثلاثَةِ أبعادٍ. يبدَأُ الإيمانُ بالقَرارِ والإلتِزامِ بالإيمان أو الثِّقَة. هكذا نبدَأُ رحلَةَ الإيمان. ولكنَّ هذه ليسَت سِوى البِدايَة. يَقُولُ الصِّينيُّونَ أنَّ رَحلَةَ الألف ميل تبدأ بِخُطوَةٍ واحدَة. ولكن ماذا يتبَعُ هذه الخُطوى الأُولى؟ التَّلمذَة! إنَّ مَوضُوعَ الحِوار العَدَائِي في هذه المرحَلَة هو العُبُوديَّة أو القُيُود. فالمسيحُ قالَ لِرِجالِ الدِّين ما معناهُ: أنتُم مُقَيَّدونَ. أنتُم عَبيدُ جَهلِكُم. أنتُم مُستَعبَدُونَ لإبليس. أنتُم مُستَعبَدُونَ لِجهَنَّم. أنتُم عبيدٌ لِلخَطيَّة." ولكن عندما تنتَقِلُونَ إلى ما وراء الصَّفحة المُقدَّسَة، وتتعرَّفُونَ على المسيح، سوفَ تعرِفُونَ الحَقَّ، والحقُّ يُحَرِّرُكُم من الجهلِ والخَطيَّةِ وجهنَم وإبليس.

قامَ كاتِبٌ مجهُولٌ بكتابَةِ قصيدَةٍ صغيرة بِعُنوان "دُبٌّ جائِع"، مُؤدَّاها كالتَّالِي:

"دُبٌّ جائِعٌ، كانت قدَمُهُ عالِقَةً بفَخٍّ قاتِلٍ أطبَقَ عليها. كانَ مغمُوراً بالخَوفِ والألَمِ، مُقَيَّداً بأغلالٍ إلى جذعِ الشَّجرَة، وهُوَ يَعوي عِواءً بَشِعاً. وإذا بِبُومٍ يُلاحِظُ حالَهُ البائِسة، فحطَّ فوقَهُ على غُصنٍ من أغصانِ الشَّجرَةِ، وهُوَ يتمتَّعُ بِحُرِيَّتِهِ مُتَرَنِّحاً منَ البَدانَة، وإذا بهِ يُوجِّهُ نصيحةً فلسَفِيَّةً من على الشَّجَرَةِ لهذا الدُّبِّ الأسير قائِلاً لهُ: "لماذ كُلُّ هذا العَويلِ والضَّجيج؟ كُلُّ ما تحتاجُهُ أيُّها الدُّبُّ العزيز، هُوَ القَليلُ منَ التَّوازُنِ وضبطِ النَّفس."

كائناً من يَكُونُ الذي كتبَ هذا الشِّعرَ القصير، ولكنَّهُ كانَ يُعَبِّرُ بِفصاحَةٍ عن الحياة. وكانَ يَقُولُ بِتَعبيرِهِ هذا أنَّهُ يُوجَدُ نَوعانِ منَ النَّاسِ في هذا العالم. أشخاصٌ أحرارٌ وآخرُونَ غيرُ أحرار. اليَوم نُسمِّي النَّاس غير الأحرار "المُدمِنين." قد يَكُونُونَ مُدمِنينَ على الكُوكايين، أو على الهيرُويين أو المُخدِّراتِ القاتِلَة. ولكنَّ هذا ليسَ النَّوعَ الوحيدَ منَ الإدمانِ اليوم. فهُناكَ أشخاصٌ مُدمنُونَ على الشَّهوَةِ، وقد يكُونُ هؤُلاء مُدمِنُونَ على الخَطيَّةِ بكافَّةِ أشكالِها وأنواعِها وأحجامِها. وقد يَكُونُونَ مُدمنينَ على الشهيَّةِ للطَّعام، أو على العمل الذي يَقُومُونَ بهِ، أو على أيِّ شَيءٍ يقُومُونَ بهِ مُرغَمِين. القَضِيَّةُ هي أنَّهُم غيرُ أحرار. وهُم مُصوَّرُونَ رَمزِيَّاً بهذا الدُّبِّ المُقَيَّدِ إلى جذعِ الشَّجرَة والذي يُرثَى لِحالِهِ.

بِحَسَبِ يسُوع، الإدمانُ القاتِل الأصعَب الذي يكمُنُ في أصلِ كُلِّ إدمان، هُوَ الخَطيَّة. ولقد وصلَ إلى أصلِ مُشكِلَةِ النَّاس الذين لا يعرِفُونَ الحُرِّيَّة، عندما قالَ أنَّ كُلَّ من يفعَلُ الخَطيَّة بإستِمرار هُوَ عبدٌ لِلخَطيَّة.

عندما وُلِدَ يسُوعُ، أعلَنَ الملائِكَةُ أنَّ إسمَهُ سيُدعَى يسُوع، لأنَّهُ سيُخَلِّصُنا من خطايانا (متَّى ١: ٢١). لاحِظُوا أنَّ هذه النُّبُوَّة لم تَكُنْ أنَّهُ سيُضَحِّي بحياتِهِ من أجلِ غُفرانِ خَطايانا. بل كانتِ النُّبُوَّة أنَّهُ سيُخَلِّصُنا من خَطايانا. عندما خصَّصَ يُوحَنَّا الرَّسُول سِفرَ الرُّؤيا ليسُوع، وصفَهُ بأنَّهُ "الشَّاهِدُ الأمينُ الذي أحَبَّنا وأنقَذَنا من خطايانا."(رُؤيا ١: ٥).

يَعني إسمُ يَسُوع "مُخَلِّص"، وتعني كَلِمَة "يُخَلِّصُ،" يُنقِذ. فإن كُنَّا نعرِفُ معنَى إسمِهِ وما تنبَّأَت عنهُ الملائِكَة،علينا أن نتوقَّعَ أن يُظهِرَ لنا يسُوعُ كيفَ يُحَرِّرُنا من خطايانا.

هل أنتَ حُرٌّ؟ وهل تعمَلُ ما تُريدُ أن تعمَلَهُ أم أنَّكَ تعمَلُ ما تحتاجُ أن تعمَلَهُ أو ما أنتَ مُرغَمٌ على عمَلِهِ؟ نحنُ الذين نُؤمِنُ بِيَسُوع ونتبَعُهُ، نضَعُ

أهَمِّيَّةً كبيرَةً على الحقيقَةِ المجيدة أنَّ خطايانا غُفِرَت لأنَّ يسُوعَ جاءَ. هذه حقيقَةٌ مجيدَةٌ من حقائِقِ الإنجيل. ولكنَّ الملائِكَةَ أعلَنَت أنَّهُ سيُدعَى إسمُهُ يسُوع لأنَّهُ سيُنقِذُنا من خطايانا. فمهما كانَ إدمانُكَ، يسُوعُ يقدِرُ أن يُنقِذَكَ من إدمانِكَ هذا. إتَّخِذْهُ مُخَلِّصاً شَخصِيَّاً لكَ فتخلُصْ من إدمانِكَ!

كيفَ تشعُرُ حِيالَ الأشخاص الذين لا يَعرِفُونَ معنى الحُرِّيَّة؟ عندما تُدرِكُ أنَّ النَّاسَ الذين تلتَقِي بِهِم لا يعمَلُونَ ما يُريدُونَ أن يعملُوا، بل ما هُم مُرغَمُونَ على عملِهِ، كيفَ تشعُرُ حيالَهُم؟ هل تشعُرُ بالعَطفِ عندَما تلتَقِي بِشَخصٍ مُدمِنٍ على الخَمرِ أو على المُخَدِّراتِ، أو بِشخصٍ أُمسِكَ بِجُرمِ الإتجارِ بالمُخَدِّرات؟ عندما إلتَقى يسُوعُ بأشخاصٍ "مُقَيَّدِين"، لم يَرغَبْ بتَركِهِم على تلكَ الحال (لُوقا ١٣: ١٠- ١٦).

القصيدَةُ التي إقتَبَستُها سابِقاً، تُظهِرُ بِشكلٍ مُحزِنٍ الملايين منَ النَّاسِ في عالَمِنا اليوم، الذين هُم مُدمِنُونَ على الخطيَّة، إدمانَهُم على الموادِ الكيماويَّة. ولقد تمَّ تصوِيرُهُم بِشَكلٍ حَرفِيٍّ مأساوِي بذلكَ الدُّبّ الذي يُرثَى لِحالِهِ لكَونِهِ مُقَيَّداً إلى جذعِ الشَّجَرَة. وللأسَفِ، تُظهِرُ هذه القَصيدَةُ أيضاً الكثيرَ منَ المُؤمنينَ اليوم، الذين هُم أحرارٌ، لكنَّهُم لا يَشعُرُونَ بأَيِّ عطفٍ تجاهَ أُولئكَ المحرُومينَ منَ الحُرِّيَّة. ولقد تمَّ تَصويرُهُم بذلكَ البُومِ الذي كانَ ينظُرُ من عَلٍ نحوَ الدُّبِ التعيس، بِدُونِ أن يشعُرَ بأيَّةِ شَفَقَةٍ عليهِ.

كائناً من يَكُونُ الذي كتبَ هذه القَصيدة، ولكنَّهُ كانَ يُحاوِلُ أن يَقُولَ لنا أنَّ يسُوعَ المسيح لم يَكُن بتاتاً "بُوماً سَميناً." فهُوَ لم ينظُرُ إلى قُيُودِ النَّاسِ المُستَعبَدينَ للخَطيَّة، بدُونِ مُبالاةٍ. عندما تلتَقي في حياتِكَ بأَشخاصٍ لا يَعرِفُونَ الحُرِّيَّة اليوم، وعندما يَكُونُ المسيحُ المُقامُ حَيَّاً فيكَ، كيفَ تُفَكِّرُ أنَّهُ يشعُرُ حيالَ هؤُلاءِ الأشخاصِ المُدمنين؟

أحدُ الكُتَّابِ المُفضَّلِينَ عندي، حَزِنَ كثيراً بسببِ اللاهُوتِ المُتَحَرِّر الذي شَكَّكَ تقريباً بِكُلِّ شَيءٍ حيالَ يسُوع، عندما كتبَ قائِلاً، "أنا أُؤمِنُ أنَّهُ كائِنٌ (أي يسُوع)، بينما يَشُكُّ الكَثيرُونَ بما إذا كانَ مَوجُوداً؛ وبينما هُم غيرُ متَيَقِّنِينَ بأنَّهُ كانَ مَوجُوداً، أنا أعلَمُ أنَّهُ مُوجُود وكائِنٌ اليوم." أضافَ كاتِبٌ آخر على هذا الإقتِباسِ قائِلاً: "اللهُ هُوَ كما يَقُولُ عن نفسِهِ أنَّهُ هُوَ، واللهُ قادِرٌ أن يعمَلَ كُلَّ ما يَقُولُ أنَّهُ قادِرٌ أن يعمَلُهُ. وأنتَ تَكُونُ تماماً كما يَقُولُ

اللهُ عنكَ أنَّكَ تَكُون. بإمكانِكَ أن تعملَ أيَّ شَيءٍ يقُولُ اللهُ أنَّكَ تستطيعُ أن تعمَلَهُ، لأنَّهُ هُوَ مَوجُودٌ، وهُوَ فيكَ."

أعتَقِدُ أنَّ أكثَرَ حقيقَةٍ ديناميكيَّة في العهدِ الجديد هي: "المسيحُ فيكُم رجاءُ المَجد." (كُولُوسِي ١: ٢٧) ماذا يعني هذا؟ المسيحُ فيكُم. أوَّلاً، هذا يعني أنَّهُ مَوجُودٌ. أحَدُ التَّفسيرات المعروفَة لهذا العدد هُو: "حتَّى تكتَشِفُوا ذلكَ السِّرّ العَظيم؛ المسيحُ في قُلُوبِكُم هُوَ رجاؤُكُم الوَحيد."

هل تُؤمِنُ بهذا؟ وهل تُؤمِنُ بأنَّ المسيحَ نفسَهُ الذي كانَ في الجَسَدِ لِمُدَّةِ ثلاثٍ وثلاثِينَ سنَةً، هُوَ نفسُهُ يعيشُ في جسدِكَ اليوم؟ ألا تُؤمِنُ بأنَّ التَّجسُّدَ ليسَ قضِيَّةً ماضِيَةً مَرَّ عليها الزَّمن، بل هُوَ حقيقَةٌ راهِنَةٌ اليوم؟ أنا أُؤمِنُ بهذا، وأُؤمِنُ أنَّ المسيحَ الذي هُوَ في قُلُوبِنا اليوم، يشعُرُ بنفسِ الطريقَةِ نحوَ الأشخاصِ المُدمِنين، تماماً كما شعرَ عندما كانَ هُنا معنا في جسدِهِ. فالمسيحُ الذي يحيا فيكَ وفيَّ اليوم، لا يُحِبُّ أن يلتَقِيَ بأشخاصٍ ليسُوا أحراراً ويترُكهم على حالِهِم.

كانت لَدَيَّ إختِباراتِي بالإلتِقاءِ بأشخاصٍ لم يَكُونُوا أحراراً، عندما شعَرَتُ أنَّ المسيحَ فيَّ كانَ يصرُخُ طالِباً أن يرَى هؤُلاء الأشخاص يتحرَّرُونَ من قُيُودِهِم الرَّديئة. أفضَلُ إختِبارٍ لمجمُوعَةٍ صغيرَةٍ منَ النَّاس، كان ذلكَ الإجتِماعِ الذي عقدتُهُ في بَيتي لمُدَّةِ خمس سنواتٍ مُتتالِيَة لثمانِيَةِ رجالٍ كانُا يتعافُونَ منَ الإدمانِ على الخمر والمُخدِّراتِ. وفي إطارِ تلكَ المجمُوعة، رأيتُ المسيحَ يُحَرِّرُ هؤلاء الأشخاص بِطَريقَةٍ مُعجِزيَّة، تماماً كما فعلَ عندما كانَ هُنا. ما رأيتُهُ يحدُثُ في تلكَ المَجمُوعَة، هُوَ تطبيقُ ما تعلَّمناهُ معاً في إنجيلِ يُوحَنَّا ٨: ٣٠- ٣٦، على حياتِي وحياتِكَ.

دَعْنِي أطرَحُ عليكَ سُؤالاً شَخصِيَّاً. إن كُنتَ قد تابَعتَ معي دراسَةَ إنجيلِ يُوحَنَّا عدداً بعدَ الآخر، ما هُوَ شُعُورُكَ تجاهَ الأجوبَة على هذه الأسئِلة الثلاث التي كُنتُ أطرَحُها؟ وهل تَجِدُ أجوبَةً جميلَةً على السُّؤال، "من هُوَ يسُوع؟" هُنا في الإصحاحِ الثَّامِن من إنجيلِ يُوحَنَّا، نرى أنَّهُ هُوَ الإبنُ، الذي يُحَرِّرُ النَّاسَ، لأنَّهُ لا يُريدُ أن يَكُونَ تلاميذُهُ مثلَ ذلكَ الدُّبّ الذي يُرثَى لِحالِهِ لكَونِهِ مُقَيَّداً بإذلالٍ إلى جُذعِ الشَّجرَة.

هل تَجِدُ أجوبَةً على السُّؤال "ما هُوَ الإيمانُ؟" من خلالِ تجوالِنا في الإصحاحاتِ الثَّمانِيَة من إنجيلِ يُوحَنَّا؟ في هذا الإصحاحِ، نَجِدُ الجوابَ

المُفَضَّلَ عِندِي على ذلكَ السُّؤال. وهُوَ يُخبِرُنا بأنَّ الإيمانَ يأتي في ثلاثَةِ أبعادٍ: البُعدُ الأوَّلُ هُوَ أن نُؤمِنَ. البُعدُ الثَّانِي هُوَ، لأنَّنا نُؤمِنُ، أن نثبُتَ في كَلامِهِ، لنُصبِحَ بالحقيقَةِ تلاميذَهُ. البُعدُ الثَّالِثُ منَ الإيمان هُوَ أن نثبُتَ في كلامِهِ، إلى أن ننتَقِلَ إلى ما وراءِ الصَّفحَةِ المُقدَّسَة، وأن نعرِفَ بواسِطَةِ العلاقَة الشخصَ الذي هُوَ الحقّ، إلى أن يُطلِقَنا أحراراً.

في هذا الإصحاحِ الثَّامِن من إنجيلِ يُوحَنَّا، هل سبقَ ووجدتَ أجوبَةً على السُّؤالِ الثَّالِثِ، "ما هِيَ الحياةُ؟" بِكَلِمَةٍ واحِدة، الجوابُ هُوَ الحُرِّيَّة. يُعجِبُني هذا الوصفُ للإيمانِ، لأنَّهُ شهَادَتي الشَّخصِيَّة. فمنَ المُمكِنِ لمُؤمِنٍ أن يختَبِرَ كُلَّ شَيءٍ في بدايَةِ رحلَةِ إيمانِهِ. ففي اللحظَةِ التي يُؤمِنُ فيها، يُمكِنُهُ أن يلتَقِيَ الإبنَ، في الحقيقَةِ والعلاقَة، وعندَها يُصبِحُ حُرَّاً. لم يَكُن هذا ما إختَبَرتُهُ عندما جِئتُ إلى يسُوع المسيح بالإيمان. فلقد آمنتُ، وأصبَحتُ تِلميذاً ليسُوع لمُدَّةِ ثلاثَ عشرَةَ سنَةً، وبعدَ ذلكَ إختَبَرتُ ذلكَ البُعد الثَّالِث منَ الإيمان. وعندما إختَبَرتُ معنَى الحُرِّيَّة، كانَ ذلكَ إختِباراً حقيقيَّاً يُشبِهُ الخُرُوجَ منَ السِّجن.

اليوم، يُوجَدُ الملايينُ منَ النَّاسِ الذين يَعيشُونَ في حضارَاتٍ مُؤَقَّتَة سريعَة التَّحضير – مثل المُستحضراتِ السَّريعَةِ التَّحضير في أيَّامِنا الحاضِرَة: كالقَهوَةِ والشَّاي والحُلوياتِ – ولهذا نحنُ اليَوم نعيشُ أُمُوراً كثيرةً سريعة التَّحضير. ولهذا أصبَحنا نُريدُ أن تَكُونَ الرُّوحيَّات سريعَةَ التَّحضير. وكما أشرتُ سابِقاً، اللهُ يستَطيعُ أن يعمَلَ هذا، وأحياناً يعمَلُهُ. ولكنَّني أُؤمِنُ أيضاً أنَّهُ لا يُعطينا دائماً كُلَّ شَيءٍ في بدايَةِ رحلتِنا الإيمانِيَّة، أي في اللحظَةِ التي نُؤمِنُ فيها. فلقدِ إلتَقَيتُ بمُؤمنينَ كثيرِينَ مثلي، منَ الذين قضُوا سنواتٍ طوالٍ كأتباع ليسُوع المسيح، قبلَ أن يدخُلُوا في حقائِقِ تلكَ العلاقة معَ الرَّبّ التي تُطلِقُهُم أحراراً. هذه الأبعادُ الثَّلاثَةُ للإيمان، تُبَرهِنُ حقيقَةَ أنَّ الخلاص ليسَ فقط وُجهَةً أو إتِّجاهاً. بل الخلاصُ هُوَ أيضاً رِحلَة.

هل سبقَ وآمنتَ، بمعنَى أنَّكَ دخلتَ في علاقَةِ تعلُّمٍ معَ الرَّبّ؟ وكم منَ الوقتِ مضَى على إتِّباعِكَ للمسيح في رحلَةِ التَّعلُّم هذه؟ لا ينبَغي أن نتفاجَأَ إن كُنَّا بالحقيقَةِ تلاميذ في عمليَّةِ تَعَلُّمٍ تتطلَّبُ وقتاً طويلاً. فيسوع لم

يَقُلْ لِكم منَ الوقتِ ينبَغي أن نَكُونَ تلاميذَهُ، قبلَ أن يُحَرِّرَنا. إبقَ أميناً. تابِع بالثَّباتِ في كلمتِهِ، وسوفَ يُطلِقُكَ حُرَّاً.

الفَصلُ الثَّالِث

"الرُّؤية هي الإيمانُ"

(يُوحَنَّا ٩: ١- ١٢)

في دِراسَتِنا لإنجيلِ يُوحَنَّا عدداً بعدَ الآخر، نَصِلُ الآنَ إلى الإصحاحِ التَّاسِع حَيثُ نقرَأُ: "وفيما هُوَ [أي يسُوع] مُجتازٌ، رأى إنساناً أعمَى منذُ وِلادَتِهِ. فسأَلَهُ تلاميذُهُ قائِلين يا مُعَلِّم، من أخطأَ هذا أما أبَواهُ حتَّى وُلِدَ أعمَى. أجابَ يسُوعُ لا هذا أخطَأَ ولا أبواهُ لَكِن لِتَظهَرَ أعمالُ اللهِ فيهِ. ينبَغي أن أعملَ أعمالَ الذي أرسَلَني ما دامَ نهارٌ. يأتِي لَيلٌ حِينَ لا يستَطيعُ أحَدٌ أن يعمَلَ. ما دُمتُ في العالَم فأنا نُورُ العالَم.

"قالَ هذا وتَفَلَ على الأرضِ وصَنَعَ منَ التُّفلِ طِيناً، وطَلَى بالطِّينِ عَينَي الأعمَى. وقالَ لهُ إذهَبْ إغتَسِلْ في بِركَةِ سِلوام. الذي تفسيرُهُ مُرسَل. فمضَى وإغتَسَلَ وأتى بَصيراً. "فالجيرانُ والذين كانُوا يرَونَهُ قَبلاً أنَّهُ كانَ أعمَى قالُوا أليسَ هذا هُوَ الذي كانَ يجلِسُ ويستَعطِي؟ آخرُونَ قالُوا هذا هُوَ. وآخرُونَ إنَّهُ يُشبِهُهُ. وأمَّا هُوَ فقالَ أنا هُوَ.

"فقالُ لهُ كيفَ إنفَتَحَت عيناكَ؟ آجابَ ذاكَ وقالَ. إنسانٌ يُقالُ لهُ يسُوعُ صَنَعَ طيناً، وطلَى عَينَيَّ وقالَ لي إذهَبْ إلى بِركَةِ سِلوام واغتَسِلْ فمَضَيتُ واغتَسَلتُ فأبصَرتُ. فقالُ لهُ أينَ ذاكَ. قالَ لا أعلَمُ." (يُوحَنَّا ٩: ١- ١٢)

لاحِظُوا مُجَدَّداً تعليمَ يسُوع من خِلالِ الأعمالِ الرَّمزِيَّة. في الإصحاحِ الخامِس، نراهُ يَشفي الرَّجُلَ أمامَ بِركَةِ بَيتِ حسدا، ومن ثَمَّ يدخُلُ في حوارٍ مُطَوَّلٍ معَ رِجالِ الدِّين، مُطَعَّمٍ بالعِظات. في الإصحاحِ السَّادِس، نجدُهُ يُطعِمُ الخمسة آلاف عائِلة الجائعة، ومن ثَمَّ يُوَفِّرُ الحوارُ فُرصَةً لعِظَتِهِ عن خُبزِ الحياة. في الإصحاحِ السَّابِع، يُوَفِّرُ لنا عيدُ المظالِّ الإستِعارَةَ الرَّمزِيَّةَ لعظَتِهِ العَظيمة عنِ الدَّعوَة، التي تدعُو جميعَ العِطاشِ ليأتُوا ويكتَشِفُوا أنَّ يسُوعَ هُوَ الماءُ الحَيُّ الذي يستطيعُ أن يُروِيَ ظمأَهُم وأن يجعلَ منهُم نهراً يشرَبُ منهُ الآخرُون. يبدَأُ الإصحاحُ الثَّامِنُ بمُقابَلَةٍ

تُظهِرُ عظتَهُ الدِّينامِيكيَّة التي تَقُودُ إلى توبَةٍ وإيمانِ البَعضِ من رجالِ الدِّين اليَهُود.

ويبدَأُ هذا الإصحاحُ التَّاسِعُ بعمَلٍ رَمزِيّ. إذ نَجِدُ يسُوعَ يشفِي رجُلاً أعمَى – في الأربَعينَ من عُمرِهِ، وقد وُلِدَ أعمَى. يُوَفِّرُ هذا العمَلُ الرَّمزِيُّ الإستِعارَةَ التي تُوضِحُ عظةً قالَ فيها يسُوعُ أنَّهُ نُورُ العالَم. ومثلَ الشِّفاءِ المَذكُور في الإصحاحِ الخامِس، هذا الشِّفاءُ والعظِةُ التي يُوضِحُها، يُحيِي ذلكَ الحوارَ العَدائِيّ معَ رِجالِ الدِّين. في هذه المرحَلَة، كانُوا قد قَرَّرُوا أنَّهُم لا يُمكِنُهُم التَّعايُشُ معَ يسُوع، وبدأُوا بوضعِ خُطَتِهِم لقَتلِ يسُوع.

يبدأُ هذا الإصحاحُ أيضاً بسُؤالٍ عَميق. عندما إلتَقى يسُوعُ وتلاميذُهُ بهذا الرَّجُل الذي وُلِدَ أعمَى، طرحَ التلاميذُ سُؤالاً على يسُوع، وكانَ هذا السُّؤالُ يَعكِسُ لاهُوتَ زمانِهِم. وكانَ سُؤالُهُم: أيُّها المُعَلِّم، من أخطأَ هذا أم أبواهُ حتَّى وُلِدَ أعمَى؟"

لقد كانَ مُعَلِّمُو النَّامُوس القُدامَى يُؤمِنُونَ بأنَّ المَرضَ كانَ نتيجَةً لِلخَطِيَّة. وبِحَسَبِ لاهُوتِ هؤُلاء الرَّابِيِّين، ما كانَ هذا الرَّجُل سيَكُونُ أعمَى، إلا إذا كانَ قد إقتَرَفَ خَطِيَّةً ما. ولقد وافَقَ "مُعَزُّو" أيُّوب على أنَّ المَرَضَ والألَمَ هُما نتيجتا الخَطيَّة. ولم يَكُن منَ التَّعزِيَةِ لأيُّوب بأن يقتَرَحَ مُعَزُّوهُ أنَّ كُلَّ مآسيهِ أصابَتْهُ بِسَبَبِ الخَطِيَّةِ في حياتِهِ. فمَوتُ أولاد أيُّوب العَشرة المأساوِيّ، كانَ بِرَأيِهِم نتيجَةً مُباشَرَةً لِخَطيَّةٍ في حياتِهِم، بِحَسَبِ مُعَزِّي أيُّوب. يتَضَمَّنُ السُّؤالُ أنَّ هذا الرَّجل وُلِدَ أعمى لأنَّ اللهَ كانَ يُعاقِبُ والِدَيهِ على خطاياهما، أو أنَّهُ كانَ يُعاقِبُ الرَّجُلَ الأعمى نفسَهُ على خطاياهُ الشَّخصِيَّة. مُجَرَّد الفِكرة أنَّ عمَى هذا الرَّجُل كانَ نتيجَةَ خَطِيَّةٍ في حياتِهِ، يصعُبُ فهمُها أكثَر، لأنَّهُ وُلِدَ أعمَى. لقد آمنَ رِجالُ الدِّين أنَّهُ كانَ مُمكِناً لِطفلٍ أن يُخطِئَ وهُوَ لا يزالُ في بطنِ أُمِّهِ، قبلَ أن يُولَدَ. ولرُبَّما كانَ هذا مُتَمَّناً في هذا السُّؤال. يُؤمِنُ الملايينُ منَ النَّاسِ اليوم بالتَّقمُّصِ أو العودَة إلى الأجساد. ولقد آمنَ النَّاسُ بأنَّ المصائِبَ التي نُعانِي منها في هذا العالم، نكُونُ قد إستَحقَّيناها في حياتِنا السَّابِقة. وهذا أيضاً قد يَكُونُ مَقصُوداً في هذا السُّؤال. منَ الرَّائِعِ أن نسمَعَ يسُوعَ يَقُولُ، "لا هذا أخطَأَ ولا أبواهُ."

يَقُودُنا هذا إلى السُّؤالِ التَّالي: "إن لم يَكُن هذا العَمَى نتيجَةَ خطِيَّةِ هذا الرَّجل أو والِدَيه، فلِماذا إذاً وُلِدَ أعمَى؟" هُنا نتحضَّرُ لتعليمِ يسُوع

العظيم والرَّائع، عندما قالَ أنَّ هذا حَدَثَ لتظهَرَ أعمالُ اللهِ في حياتِهِ. هذا جوابٌ عميقٌ ورائِعٌ على سُؤالِ التلاميذ.

لقد وَصلَ بي حالُ مَرَضي العُضال لأجلِسَ في كُرسِيِّ المُقعَدين منذُ العام ١٩٨٣، ولقد فتَّشتُ الكتابَ المُقدَّسَ باحِثاً عن أجوبَةِ اللهِ على السُّؤالِ، "لماذ نُعاني منَ الشَّرِّ والألَمِ، خاصَّةً في حياةِ الأشخاصِ الصَّالِحين؟" ولقد إكتَشَفتُ ثلاثِينَ سبباً بمُوجَبِها يسَمحُ الرَّبُّ لشعبِهِ أن يتألَّمَ. ولقد ركَّزَ يسُوعُ على أحدِ أفضَلِ التَّفسيراتِ الكِتابِيَّة للألَم في هذا التَّصريحِ العميق: "حدثَ هذا لِتَظهَرَ أعمالُ اللهِ في حياتِهِ."

أساسُ هذا التَّعليم هُوَ أنَّ القَصدَ من الحياةِ البَشَريَّة هو إظهارُ أعمالِ الله. فلقد أرانا يسُوعُ كيفَ نعمَلُ هذا، عندما صَلَّى في نهايَةِ حياتِهِ: "أنا مجَّدْتُكَ على الأرض. العمَلُ الذي أعطَيتَني لأعمَلَ قد أكْمَلتُهُ." (يُوحَنَّا ١٧: ٤).

ولقد أعطانا مثلاً آخَرَ عن كيفيَّةِ إظهارِنا لأعمالِ الله، من خلالِ الطريقة التي نعيشُ بها، عندما أتبَعَ تعليمَهُ عنِ المَواقِف الثَّمانِيَة الجميلة، بإستِعارَةٍ حيويَّةٍ فَصِيحَة. فبالنِّسبَةِ لِيَسُوع، عندما نُصبِحُ تلاميذَهُ، وكأنَّنا شُمُوعٌ تمَّت إضاءَتُها. وهُوَ دائماً لديهِ منارةٌ لِيَضَعَنا عليها عندَما يُضِيءُ شمعَتَنا. وبعدَ أن أعطَى يسُوعُ هذه الإستِعارَة في المَوعِظَةِ على الجَبَل، أتبعَ حديثَهُ بتحريضٍ عظيم: "فَلْيُضِئ نُورُكُم هكذا قُدَّامَ النَّاس، لِيَرَوا أعمالَكُم الحَسَنَة ويُمَجِّدُوا أباكُم الذي في السَّماوات." (متَّى ٥: ١٤- ١٦).

قالَ الرَّبُّ يسُوعُ المسيح لتلاميذِهِ في السَّاعاتِ الأخيرَةِ التي قضاها معَهُم: "ليسَ أنتُم إختَرتُمُونِي بل أنا إختَرتُكُم، وأقَمتُكُم لتأتُوا بِثَمَرٍ ويَدُومَ ثَمَرُكُم." (يُوحَنَّا ١٥: ١٦) ولقد قصَدَ يسُوعُ بذلكَ أنَّهُ كانَ سيَضَعُ رُسُلَهُ كشُمُوعٍ على منائِر لِيَكُونُوا مُثمِرين.

في نهايَةِ ذلكَ العَدد، علَّمَ يسُوعُ ما معناهُ، "عندما تفهَمُونَ أنَّكُم خَلُصتُم لتَكُونُوا مُثمِرين، عندها سوفَ يبدَأُ اللهُ بإستِجابَةِ صلواتِكُم." المُشكِلَة هي أنَّ مُعظَمَنا نأتي للخلاصِ، بالطريقَةِ نفسِها التي نقتَرِبُ بها من كُلِّ شَيءٍ في حَياتِنا – أي بدافِعٍ يُرَكِّزُ على الذَّاتِ – طارِحينَ سُؤالاً مُؤدَّاهُ، "ماذا أنتَفِعُ أنا من كُلِّ هذا؟ بينما ينبَغي أن يَكُونَ دافِعُنا، "ماذا سيَنفَعُ هذا

الأمرُ يسُوع؟ وكيفَ يُمَجِّدُ هذا الأمرُ اللهَ؟ وليسَ، "ماذا سأنتَفِعُ أنا من إختبارِ الخلاص هذا؟"

هُنا نَجِدُ تعليماً رائِعاً عندما يُعلِنُ يسُوعُ أنَّ العَمَى كانَ لكَي تظهرَ أعمالُ اللهِ في حياةِ هذا الإنسان. الكلمةُ التي كثيراً ما نستَخدِمُها في هذا الحياة هي كَلِمَة "لِماذا؟" عندما نَصِلُ إلى السماء، الكَلِمَةُ التي سنستَخدِمُها أكثَرَ من أيَّةِ كَلِمَةٍ أُخرى هي عبارَة: "يا لِلعَجَب." وبينما نَعيشُ في هذا المجالِ الأرضِي، نحتاجُ أن نُفتِّشَ في كلمةِ اللهِ على سُؤالِنا "لماذا؟" يُعَلِّمُنا سِفرُ أيُّوب أنَّ هذه الأُمُور تحدُثُ بإرادَةِ اللهِ السَّامِحَة. إنَّها تأتِي من إبليس، ولكنَّها تحدُثُ فقط بِسماحٍ منَ الله. عندما تحدُثُ أُمُورٌ مأساوِيَّة، مثل عمَى هذا الرَّجُل، يسألُ النَّاسُ، "لماذا؟" الطَّريقَةُ التي أجابَ بها يسُوعُ على هذا السُّؤال الذي طرحَهُ رُسُلُهُ، كانَ التَّفسيرَ المُفضَّلَ عندِي لهكذا مأساة.

بِحَسَبِ النَّبِيِّ إشَعياء، عندما يأتِي المَسِيَّا، أحَدُ أوراقِهِ الثُّبُوتِيَّة ستَكُون: "حِينئِذٍ تتفَتَّحُ عيُونُ العُمِي وآذانُ الصُّمِّ تَتَفَتَّحُ." (إشعياء ٣٥: ٥) إنَّ قصدَ يُوحَنَّا من كتابَةِ هذا هُوَ أنَّهُ يُعطينا سِجِلاً عن الآياتِ العجائِبِيَّة التي حقَّقَها يسُوعُ، والتي ينبَغي أن تُقنِعَنا بأنَّهُ هُوَ المسيح، المَسيَّا، إبن الله (يُوحَنَّا٢٠: ٣٠ و٣١). إنَّ شِفاءَ هذا الإنسان الذي وُلِدَ أعمى هُوَ واحِدٌ من هذه البراهِين العجائِبِيَّة.

بعدَ أن أوضحَ يسُوعُ أنَّ القصدَ من عَمى هذا الرَّجُل كانَ "لِتظهَرَ أعمالُ اللهِ فيه،" أضافَ يسُوعُ هذا التَّصريحَ العَظيم: "ينبَغي أن أعملَ أعمالَ الذي أرسَلَني ما دامَ نهارٌ. يأتي لَيلٌ حِينَ لا يستَطيعُ أحَدٌ أن يعمَلَ."

أُشَجِّعُكُم مُجَدَّداً بأن تُلاحِظُوا كم كانَ يسُوعُ مأخُوذاً بالقِيامِ بِعَمَلِ الله. فلقد ذكَرَ عملَ اللهِ بعدَ مُقابَلَتِهِ معَ المرأَةِ عندَ البِئر. فلقد كانَ يطفَحُ بالفَرَحِ لأنَّهُ عمِلَ عَمَلَ اللهِ عندما وَجَدَت هذه المرأَةُ المياهَ الحَيَّة. وفي تلكَ المُناسَبَة قدَّمَ التَّصريحَ التَّالِي: "طعامِي أن أعملَ مَشيئَةَ الذي أرسَلَني وأُتَمِّمَ عملَهُ." (يُوحَنَّا ٤: ٣٤)

عَبرَ كُلِّ إنجيلِ يُوحَنَّا، سوفَ تَجِدُ يسُوعَ يُشيرُ إلى تلكَ الأعمال التي أرادَهُ الآبُ أن يعمَلَها. في الإصحاحِ الخامِس قالَ أنَّها كانت واحداً من عدَّةِ براهين تُؤكِّدُ أنَّهُ كانَ كما قالَ عن نفسِهِ. ولقد أشَرتُ أعلاهُ إلى كيفَ مجَّدَ أباهُ السَّماوِي بإتمامِ أعمالِهِ التي أرادَهُ أن يعمَلَها، وكيفَ أنَّ كلماتِهِ الأخيرة

على الصَّليب كانت، "قد أُكمِل. أيُّها الآب، بينَ يديكَ أستَودِعُ رُوحِي." (يُوحَنَّا ١٧: ٤؛ ١٩: ٣٠؛ ولُوقا ٢٣: ٤٦).

هُنا ضمَّن تلاميذَهُ (أي أنَّهُ كانَ يقصُدُني ويقصُدُكَ أيُّها القارِئُ) عندما قالَ، "ينبَغي أن نعملَ أعمالَ الذي أرسَلَني ما دامَ نهارٌ. يأتي لَيلٌ حِينَ لا يستَطيعُ أحَدٌ أن يعمَلَ." (يُوحَنَّا ٩: ٤) ما يُسمِّيهِ يسُوعُ "الليل" يعني نهايَةَ مُدَّةِ حياتِنا. وقد يعني أيضاً أنَّنا بينَما نمضِي في طَريقِنا في هذا العالم، تُوجدُ فُرَصٌ للقِيامِ بأعمالِ اللهِ التي يُمكِنُ أن يفُوتَ وقتُها.

بعدَ أن شارَكَ يسُوعُ بهذه الحقائِق، نقرَأُ أنَّهُ تفلَ على الأرضِ وصنعَ طيناً بِريقِهِ، ووضعَهُ على عيني الأعمَى. ثُمَّ قالَ لهُ، "إذهَبْ إغتَسِلْ في بِركَةِ سِلوام." لاحِظوا أنَّ يسُوعَ لا يشفِي دائماً بالطريقَةِ نفسِها. وهُنا نَجِدُ جواباً آخر على سُؤالِ يُوحَنَّا، "ما هُوَ الإيمانُ؟ نقرَأُ: "فمضى وإغتَسَلَ وأَتَى بَصِيراً."

هذا وَصفٌ جميلٌ لما هُوَ الإيمانُ، وجوابٌ آخر على السُّؤال، "ما هُوَ الإيمانُ؟" فلو لم يصنَع يسُوعُ الطِّين، ولو لم يَضَعْهُ على عَينَي الأعمى، ولو لم يُكَلِّفْهُ بواجِبِ الإغتِسالِ في بِركَةِ سِلوام، وقبلَ كُلِّ شَيءٍ لو لم يَكُن يسُوعُ هُوَ الشَّافِي الأعظَم، لما حدَثَ أيُّ شِفاء. ولكنَّ يسُوعَ أتاحَ للرَّجُلِ أن يَكُونَ شَريكاً في عمَلِيَّةِ شفائِهِ. ولقد تطلَّبَ هذا الأمرُ إيماناً كبيراً من قِبَلِ هذا الرَّجُل.

عندما تحوَّلَ الماءُ خمراً، كانَ على الخُدَّامِ أن يَتمتَّعُوا بالإيمانِ ليملأُوا أوعِيَتَهُم بالماءِ الذي كانُوا قد وضعُوه في تلكَ الأجرانِ الكبيرَةِ التي يتَّسِعُ كُلُّ واحِدٍ منها لثمانِينَ ليتراً، وأن يبدَأُوا بتَقديمِهِ للضُّيُوفِ على أنَّهُ خَمرٌ. وغداءُ الولدِ الصَّغيرِ تكاثَرَ بينما كانَ يجتازُ من بينِ يدَي يسُوع، عبرَ أيدي التلاميذ، وصُولاً إلى أيدِي الجماهير الجائِعة. في هذه المُناسَبات، كانَ للرُّسُلِ ولِلخُدَّامِ في العُرسِ دَورٌ في المُعجِزة. كانَ عليهِم أن يُفَعِّلُوا إيمانَهُم؛ وبعدَ ذلكَ فقط حدَثَت المُعجِزَة. ولكنَّ يسُوع لم يقُم دائماً بمُعجِزاتِهِ بهذه الطريقة، ولكنَّهُ عمِلَ هاتَينِ المُعجِزَتَين بهذه الطَّريقَة، بالإضافَةِ إلى مُعجِزَةِ شفاءِ هذا الرَّجُلِ الأعمى.

فلقد ذهبَ الرَّجُلُ وإغتَسَلَ في بِركَةِ سِلوام، ورجعَ إلى مَنزِلِهِ بَصِيراً. مُباشَرَةً نرى هذا الرَّجل مَوضُوعاً على "منارَتِهِ." كانَ الجيرانُ أوَّل من

رَأوا النُّورَ من شَمعَتِهِ. فتساءَلُوا، "أَهذا هُوَ نَفسُهُ الرَّجلُ الأعمى الذي كانَ يجلِسُ ويستَعطِي؟" فأجابَ بعضُهُم، "نعمَ." وقالَ آخرُون، "كلا، بل هُوَ يُشبِهُهُ." عندَها شَهِدَ الرَّجُلُ عن نفسِهِ قائِلاً، "إنِّي أنا هُوَ."

هُنا لَدَينا وصفٌ جَيِّدٌ لما سبقنا وتعلَّمناهُ عنِ الشَّاهِد. فالشَّاهِدُ ليسَ فقط شَيئاً نَكُونهُ، وليسَ فقط الطريقة التي بها نحيا حياتَنا. ستكُونُ هُناكَ أوقاتٌ سنُوضَعُ فيها على منائِرنا كشُهُودٍ، وسيكُونُ مطلُوبٌ منَّا أن نتكلَّمَ – فليُضِيْ نُورُنا – وأن نشهَدَ لِلمُعجِزَةِ التي حدَثَت لنا. النَّاسُ سَيُجذَبُونَ نحوَنا بسببِ ما رأوا اللهَ يعمَلُ فينا. وعندما يطلُبُونَ تفسيراً، نتعلَّمُ أن نُعَبِّرَ عنِ سبَبِ الرَّجاءِ الذي فينا (١بُطرُس ٣: ١٥). أمرٌ رائِعٌ حدَثَ لهذا الرَّجُل. عندما يرى النَّاسُ بُرهانَ المُعجِزَة، يتعجَّبُونَ مَّما حدَثَ وكيفَ حدَثَ، وما قد يعنيهِ هذا في حياتِهم.

فطرَحوا عليهِ سُؤالاً، "كيفَ أصبَحتَ تُبصِر؟" فأجابَ الرَّجُلُ الذي كانَ أعمى، "الرجُل الذي إسمُهُ يسُوع صنعَ طيناً وطلى عينَيَّ بالطِّين. وقالَ لي أن أذهَبَ وأَغتَسِلَ، فذهبتُ وإغتَسَلتُ، وها أنا الآنَ أُبصِر." وعندما سألُوهُ، "أينَ هُوَ الرَّجُل الذي شفاكَ؟" أجابَ، "لستُ أعلَمُ."

لقد كانَ هُناكَ الكثيرُ من هذه المُعجِزة ممَّا لم يفهَمْهُ هذا الرَّجُل، ولكنَّهُ عرفَ التَّالي: أنَّهُ كانَ أعمَى، والآن يُبصِر. وهُوَ يعلَمُ ما حدَثَ لهُ، أي كيفَ حدَثَ. "كُنتُ أعمَى. وُلِدتُ أعمَى، ولكنَّ الرَّجُل الذي يُدعَى يسُوع، صنعَ طيناً وطلى عينيَّ بهِ وقالَ لي أن أذهَبَ وأغتَسِل. فذهبتُ، وإغتَسَلتُ، ورجعتُ بَصيراً."

هنا أيضاً نجدُ تركيزاً على الإيمان: فالعَمَلُ يقُودُ إلى العِلم، أو المعرِفَة. ففي رحلَتنا في الإيمان، العَيانُ لا يَقُودُ دائماً إلى الإيمان. بل الإيمانُ يَقُودُ إلى العيان أو إلى رُؤيَةِ ما نُؤمِنُ بهِ. لدينا هذا الجوابُ عمَّا هُوَ الإيمان، كما نراهُ مُوضَّحاً حرفِيَّاً لنا في إختِبارِ هذا الرَّجُلِ الذي وُلِدَ أعمَى، ولكنَّهُ أصبَحَ بَصيراً، وذلكَ لأنَّهُ إلتَقى بيسُوع وآمنَ بهِ وأطاعَهُ.

نُورُ العالم

عندما شفَى يسُوعُ الرَّجُلَ عندَ البِركة، أشَرتُ إلى ذلكَ كشفاءٍ ستراتيجيّ، لأنَّهُ كانَ المُسَبِّب الذي أطلقَ شرارَةَ الحوار الذي أرادَ يسُوعُ إقامَتَهُ معَ رِجالِ الدِّين. ولقد وصلَ يسُوعُ إلى المرأَةِ السَّامِرِيَّة، فقط لأنَّهُ

كانَ يجتازُ في السَّامِرَة ولأنَّهُ أرادَ أن يرى السَّامِرَة تسمَعُ بِشارَتَهُ من خلالِ هذه المرأة التي إلتَقاها خلالَ تلكَ الرَّحلَة. ولقد كانَ يجتازُ عبرَ أريحا عندما وصلَ بِزَكَّا، الذي قامَ بِدَورِهِ بتبشيرِ أريحا بكامِلِها نيابَةً عن يسُوع.

وكما أشَرتُ سابِقاً، مثل شِفاء الرَّجُل عندَ بِركَةِ بيتِ حسدا في الإصحاحِ الخامِس، أصبَحَ شفاءُ الرَّجُلِ الأعمى هُنا مُسَبِّباً أطلَقَ حواراً عدائِيَّاً معَ رجالِ الدِّين. ولقد أتبعَ يسُوعُ شفاءَهُ لهذا الرَّجُلِ الأعمى بِعِظَةٍ أعلنَ فيها أنَّهُ هُوَ نورُ العالم. وقُرابَةَ نهايَةِ الإصحاح، يُخبِرُنا يُوحَنَّا بأنَّ يسُوعَ أتبعَ عظتَهُ هذه بتطبيقٍ يقُولُ أنَّهُ كونَهُ نُور العالم، فلقد كانَ نوعاً مُمَيَّزاً جدَّاً منَ النُّور. فلقد كانَ ذلكَ النُّور الذي يمنَحُ البَصَرَ للعُميان، وفي نفسِ الوقت، كانَ ذلكَ النَّوع منَ النُّور الذي أعلَنَ العَمَى لأُولئكَ الذي إدَّعُوا البَصَر.

وكانَ الفَرِّيسيُّونَ واقِفينَ جانِباً، وسمِعُوا هذه العِظَة. ولقد فَهِمُوا ما كانَ يسُوعُ يُصَرِّحُ بهِ، وطبّقُوهُ بطريقَةٍ صحيحة. قالَ ُوا: "هل تُحاوِلُ أن تَقُولَ لنا أنَّنا عُميانٌ؟" فأجابَ يسُوع، "لو كُنتُم عُميانٌ، لما كانت لكُم خَطيَّة. ولكن لأنَّكُم تقُولُونَ أنَّكُم تُبصِرُون، فخَطِيَّتُكُم باقِيَة."

حدَثَ مرَّةً إنفجارٌ سبَّبَ إنهيارَ كهفٍ كَبيرٍ في أحدِ مناجِمِ الفحمِ في أميركا. وبعدَ الإنفجار، حُوصِرَ حوالي ثلاثُونَ عامِلاً لمُدَّةِ ثلاثَةِ أيَّامٍ قبلَ أن يَصِلَ إليهُم المُنقِذُون. وهكذا قضى هَؤُلاء العُمَّال ثلاثَةَ أيَّامٍ في الظُّلمَةِ الحالِكة. وعندما وصلَ إليهِم المُنقِذُون، وبعدَ أن إحتفَلوا فَرِحينَ بنجاتِهِم، سألَ أحدُ عُمَّالِ المَنجَم الذي كانَ قد قضى ثلاثَةَ أيَّامٍ في الظُّلمَة، سألَ المُنقِذِين، "لماذا لم تأتُوا بأيَّةِ مَصابيح معَكُم؟" ولكنَّهُم بالواقِع أدخَلُوا معَهُم عدداً كبيراً منَ مَصابيح. ولكنَّ سُؤالَهُ ألقَى بِغيمَةٍ ثَقيلَةٍ منَ الصَّمتِ على المُحتَفلينَ بالنَّجاة، لأنَّ الجميعَ أدرَكَ أنَّ هذا العامل كانَ قد أُصيبَ بالعَمى خلالَ هذه الأيَّامِ الثَّلاثَة، نتيجَةً للإنفجارِ الذي سببَ إنهيارَ المنجَم، ولكنَّهُ لم يُدرِكْ أنَّهُ أعمى إلى أن وصلَ النُّورُ إليهِم.

بالمَعنَى الرُّوحِيّ، هذا ما كانَ يسُوعُ يَقُولُهُ لِرجالِ الدِّينِ اليَهُود. فلقد كانُوا عُميان رُوحيَّاً، ولكنَّهُم ظَنُّوا أنَّهم كانُوا يُبصِرُون. وكانُوا يفتَخِرُونَ حتَّى ببَصَرِهِم وبِبَصيرَتِهِم الرُّوحيَّة. ومن جهَةٍ أُخرى، هذا الرَّجُل الأعمى الذي شَفاهُ يسُوع، والذي كانَ أعمَى جسديَّاً ومن ثَمَّ منحَهُ يسُوعُ البَصَر،

كانَ صُورَةً عنِ الأشخاص الذين يعرِفُونَ أنَّهُم عُميانٌ لا يُبصِرُون، رُغمَ أنَّهُم كانَ ينبَغي أن يُبصِرُوا. وعندما جاءَ الذي قالَ عن نفسِهِ أنَّهُ نُورُ العالم، نالَ هؤُلاء النُّور والبَصَرَ وشُفِيَوا من عماهُم الرُّوحِيّ.

عندما شعرَ رجالُ الدِّينِ اليهُود بالإهانَةِ وسألُوا، "هل تُحاوِلُ أن تَقُولَ لنا أنَّنا عُميانٌ؟" أجابَهُم يسُوعُ بطريقَةٍ أو بأُخرى، "نعم، هذا ما أَقُولُهُ لكُم بالتَّحديد."

لقد تمَّ إخراجُ الرَّجُلِ الأعمى الذي شُفِيَ منَ المَجمَع. وعندَما وجدَهُ يسُوعُ وعرَّفَهُ على نفسِهِ، آمنَ بهِ الرَّجُلُ وإعتَرَفَ بهِ رَبَّاً على حياتِهِ. وكما سبقَ وأشرنا، تُقدِّمُ قِصَّةُ الشِّفاءِ هذه أجوِبَةً جميلَةً على السُّؤال عمَّا هُوَ الإيمان؟ فعندما آمنَ هذا الرَّجُل، دعا يسُوعَ رَبَّاً على حياتِهِ، وعَبَدَ يسُوع. فعلينا أن نُضَمِّنَ خُطُواتِ الإيمان الحَرِجة هذه بينما نُجيبُ على السُّؤال: "ما هُوَ الإيمانُ؟"

وبينما نَجِدُ يسُوع يُؤَكِّدُ وينتَزِعُ إعتِرافَ إيمانٍ وعبادَةً منَ هذا الرَّجُل الذي شفاهُ منَ العَمى، نَكتَشِفُ أيضاً أجوِبَةً جميلَةً على السُّؤال، "من هُوَ يسُوع؟" ومِثلَ المرأَةِ عندَ البِئر، لاحِظوا الطَّريقَة التي بها أدركَ هذا الرَّجُل من هُوَ يسُوع. في البِدايَةِ لم تَكُن لديهِ أيَّةُ فكرَةٍ عمَّن هُوَ يسُوع. بل كانَ ببساطَةٍ بالنِّسبَةِ لهُ، "رَجُلٌ يُقالُ لهُ يسُوع." ولكنَّ فهمَهُ لمن هُوَ يسُوعُ تنامَى إلى أن إعتَرَفَ بِيَسُوع رَبَّاً على حياتِهِ وعبَدَهُ.

هذا الرَّجُلُ الذي نالَ البَصَرَ نتيجَةً لِلِقائِهِ معَ يسُوع، والتَّطبيقاتُ التي قامَ بها يسُوعُ على هذه القِصَّة، تُجيبُ أيضاً على السُّؤال الثَّالِثِ الذي يُرَكِّزُ عليهِ يُوحَنَّا عبرَ إنجيلِهِ، "ما هِيَ الحياة؟" فأُولئكَ الذين عاشُوا أربَعين سنَةً قبلَ أن يختَبِرُوا الخلاص، يُخبِرُونَنا أنَّ إختبارَهُم للخلاص كانَ مثلَ كونِ الإنسان قد وُلِدَ أعمَى. فبعدَ أن كانُوا عُمياناً رُوحِيَّاً لأربَعينَ سنَةً، إلتَقُوا بِنُورِ العالم. ولقد أعلَنَ لهُم عماهُم، ثُمَّ شفاهُم من عماهُم، والآن أصبَحُوا يُبصِرُونَ لأوَّلِ مرَّةٍ في حياتِهم. الحَياةُ هي إدراكُ كَونِنا قد وُلِدنا عُمياناً رُوحيَّاً، ولكن بعدَ أن إلتَقينا بِيَسُوع، بإمكاننا أن نَضُمَّ صَوتَنا معَ هذا الرَّجل ونَقُول، "هُناكَ الكَثير مِمَّا أجهَلُهُ، ولكنَّني أعرِفُ شَيئاً واحِداً. كُنتُ أعمَى، والآنَ أُبصِر."

بينما تتجوَّلُ عبرَ هذه الإصحاحاتِ من إنجيلِ يُوحَنَّا، هل ستَدعُ يسُوعَ، الحياةَ، الذي هُوَ النُّورُ الذي يُنيرُ كُلَّ إنسانٍ، يُعلِنُ لكَ عماكَ الرُّوحِيّ؟ وهل ستَسلُكُ عندَها في النُّور الذي هُوَ إيَّاهُ، بينما يُريكَ كيفَ تتمكَّنُ من أن تَكُونَ جُزءاً منَ عمَلِيَّةِ الإيمان التي تعمَلُ المُعجِزة التي يُريدُ أن يُنجِزَها في حياتِكَ؟ إسأَلْ ثُمَّ أجِبْ على هذه الأسئِلَة الثلاثة التي يطرَحُها يُوحَنَّا في هذا الإصحاحِ العَميق من إنجيلِهِ.

الفَصلُ الرَّابِع
"المَدعُوُّونَ إلى خارِج"
(يُوحَنَّا ١٠: ١- ١٦)

عِندَما طُرِدَ الرَّجُلُ الأعمَى الذي شُفِيَ منَ المَجمع، ألقَى يسُوعُ عندَها عِظَةً عميقَةً وجميلَةً، قالَ فيها بِوُضُوحٍ أنَّهُ هُوَ الرَّاعِي الصَّالِح الذي وصفَهُ داوُد في مَزمُورِهِ المُوحَى بهِ منَ اللهِ عنِ الرَّاعِي الصَّالِح (المَزمُور ٢٣). قبلَ أن نتأمَّلَ بهذه العِظَة، أوَدُّ أن أُشارِكَ معَكُم مبدأً من مبادِئِ دَرسِ الكِتابِ المُقدَّس.

لم تَكُنْ تُوجَدُ أيَّةُ تقسيماتٍ للإصحاحاتِ في أسفارِ الكتابِ المُقدَّس الأصليَّة. ولقد تمَّ تقسيمُ أسفارِ العهدِ الجديد إلى إصحاحاتٍ وأعدادٍ بعدَ أكثَرِ من ألفِ عامٍ بعدَ كتابَتِها، وتمَّ ذلكَ بِهَدَفِ مُساعَدَتِنا على دراسَةِ هذه الأسفار والإستِشهادِ من مقاطِع مُحدَّدَة منها. عندما تَصِلُ إلى تقسيمٍ مُعَيَّنٍ في إصحاحٍ كتابِيّ، منَ الحِكمَةِ أن تسألَ نفسَكَ، "بينما أنتَقِلُ لِقراءَةِ هذا الإصحاح الجديد، هل يُوجَدُ أيُّ تغييرٍ في المَوضُوعِ أو القَرينة؟ وهل يُوجَدُ أيُّ شَيءٍ في الإصحاح الذي سبقَ وقرأتُهُ قد يُساعِدُني على فَهمِ هذا الإصحاح الذي أُوشِكُ على قِراءَتِهِ الآن؟"

هذا ما نَجِدُهُ بينما نَقرَأُ الإصحاحَ العاشِر من إنجيلِ يُوحَنَّا. إنَّ إخراجَ الرَّجُلِ الأعمى الذي شفاهُ يسُوعُ منَ المَجمَعِ، يُساعِدُنا على فهمِ هذا التعليم العظيم ليسُوع: "الحَقَّ الحَقَّ أقُولُ لكُم إنَّ الذي لا يَدخُلُ منَ البابِ إلى حَظِيرَةِ الخرافِ بل يطلَعُ من مَوضِعٍ آخر فذاكَ سارِقٌ ولِصٌّ. وأمَّا الذي يدخُلُ منَ البابِ فهُوَ راعي الخراف. لِهذا يفتَحُ البَوَّابُ والخِرافُ تَسمَعُ صوتَهُ فيَدعُو خرافَهُ الخاصَّةَ بأَسماءٍ ويخُرِجُها. ومتَى أخرَجَ خرافَهُ

الخاصَّةَ يذهَبُ أمامَها والخِرافُ تَتبَعُهُ لأنَّها تعرِفُ صوتَهُ. وأمَّا الغَريبُ فلا تَتبَعُهُ بل تهرُبُ منهُ لأنَّها لا تَعرِفُ صَوتَ الغُرَباء." (يُوحَنَّا ١٠: ١- ٥)

يبدَأُ يسُوعُ هذا التَّعليم بالكلمتَين، "الحَقَّ الحَقَّ." بكلماتٍ أُخرى، "أنا الآن على وَشَكِ أن أقُولَ شَيئاً صحيحاً وهامَّاً." ثُمَّ إستَخدَمَ إستِعارَةً مُوحَىً بها، عندما نقرَأُ، "وأمَّا هُم فلَم يفهَمُوا ما هُوَ الذي كانَ يُكَلِّمُهُم بهِ." (يُوحَنَّا ١٠: ٦) كانت هذه الإستِعارَةُ المجازِيَّةُ عن حَظيرَةِ الخِراف. ومنَ الأهمِّيَّةِ بِمَكانٍ أن نفهَمَ بِشكلٍ كافٍ كيفيَّةَ رعايَةِ الغَنم، عندما إستَخدَمَ يسُوعُ هذه الإستِعارَة المجازِيَّة، لنفهَمَ ماذا كانَت تعني حَظيرَةُ الخِراف.

تُعَرِّفُنا هذهِ الإستعارَةُ على أحدِ أهَمِّ أوجُهِ رِعايَةِ الخِراف. فحَظِيرَةُ الخِرافِ كانت منطَقَةً مُغلَقَةً في قَريَةٍ أو في بَلدَةٍ ما، وكانت تُستَخدَمُ لإيواءِ الخرافِ لَيلاً. فبينما كانَ رُعاةُ الغَنم يجتازُونَ معَ قُطعانِهِم عبرَ قَريَةٍ أو بَلدَةٍ ما، كانُوا يقضُونَ اللَّيلَ في فُندُقٍ صَغيرٍ، وكانُوا يدخِلُونَ قُطعانَهُم إلى حظائِرِ الخراف العامَّة.

تَصَوَّرُوا أنَّ خمسةَ أو سِتَّةَ رُعاةِ غَنَمٍ مُختَلِفين قد وضعُوا قُطعانَهُم في حظيرَةٍ واحِدَة. وفي الصَّباح، عندما يأتي الرُّعاةُ طَلَباً لقُطعانِهِم، يَقُومُ كُلُّ راعٍ بِمُناداةِ قَطيعِ غنمِهِ. ولدَى كُلِّ راعٍ طريقَةٌ خاصَّةٌ بهِ لمُناداةِ قطيعِه. ثُمَّ يَبتَعِدُ الرَّاعِي عن حَظيرَةِ الخراف. وعندما يُنادِي خرافَهُ ويبتَعِدُ، تسمَعُ خرافُهُ صوتَهُ فتَتبَعُهُ. وهذه الخرافُ خاصَّةُ هذا الرَّاعِي لن تتبَعَ راعِياً آخرَ، ولن تتبَعَ كذلكَ لِصَّاً يُحاوِلُ سَرِقَتَها.

وهكذا إستَخدَمَ يسُوعُ هذه الصَّورَة كإستِعارَةٍ، فلم يفهَم مُستَمِعُوهُ ما قالَهُ لهُم. أنا مُقتَنِعٌ أنَّ حَظيرَةَ الخرافِ كانت تُشيرُ إلى الدِّيانَةِ اليَهُوديَّةِ في هذه الإستِعارَة التي قدَّمَها يسُوع. فلقد قدَّمَ تصريحاً يَقُولُ فيهِ أنَّهُ كما أنَّ الرَّاعِي يأتي إلى حَظيرَةِ الخراف، ويُنادِي خرافَهُ فتعرِفُ خرافُهُ صوتَهُ وتَتبَعُهُ، هكذا أيضاً كانَ هُوَ بِصِفَتِهِ الرَّاعِي الصَّالِح يُنادِي خرافَهُ منَ حَظيرَةِ الخراف اليَهُوديَّة.

ينبَغي أن نعرِفَ أنَّ الرُّسُلَ جميعاً كانُوا يهُوداً، وأنَّ كُلَّ أعضاءِ الكنيسةِ الأُولى الذين نلتَقيهِم في الإصحاحاتِ التِّسعَة الأُولى من سفرِ أعمالِ الرُّسُل كانُوا يَهُوداً. وكانَ يسُوعُ يُشيرُ بِوُضُوحٍ إلى الرَّجُلِ الذي شفاهُ منَ العَمى. ولقد قامَ أُولئِكَ القادَةُ الدِّينيُّونَ بِطَردِ هذا الرَّجُل منَ

المَجمَع، لأنَّهُ قَبِلَ يسُوعَ رَبّاً وسجدَ لهُ. ومن خلالِ هذه الإستِعارَة البَليغة، كانَ يسُوعُ يَقُولُ، "أنتُم لم تُخرِجُوهُ منَ المَجمَع. بل أنا دَعَوتُهُ إلى خارِجِ حظيرَةِ الخِراف؛ وهُوَ يتبَعُني لأنَّهُ واحِدٌ من خِرافِي، ولهذا عرفَ صَوتِي."

قدَّمَ يسُوعُ تصرحاً آخر من تصريحاتِهِ التي يَقُولُ فيها "أنا هُوَ،" هُنا في هذا الإصحاحِ العاشِر: "أنا هُوَ بابُ الخِراف." في هذه الإستِعارَة حولَ حَظيرَةِ الخراف، كانَ هُوَ الرَّاعِي الذي يدعُو خِرافَهُ منَ بينِ الجَمعِ، أو منَ حَظيرَةِ الخرافِ العامَّة. ولكن عندما لم يَفهَمِ الجَمعُ هذه الصُّورَة المجازِيَّة، نقرَأُ، "فقالَ لهُم يسُوعُ أيضاً..." هُنا يَقُومُ يسُوعُ بِمحاوَلَةٍ أُخرى لتَفسيرِ ما قد حدَثَ لهذا الرَّجُل الذي شُفِيَ منَ العَمى وطُرِدَ منَ المجمع: "الحقَّ الحَقَّ أقُولُ لكُم إنِّي أنا بابُ الخِراف. جَميعُ الذين أتَوا قَبلِي هُم سُرَّاقٌ ولُصُوص. ولكنَّ الخِرافَ لم تسمَعْ لهُم. أنا هُوَ الباب. إن دَخَلَ بي أحَدٌ فيَخلُصُ ويدخُلُ ويَخرُجُ ويَجِدُ مَرعَىً. السَّارِقُ لا يأتي إلا لِيَسرِقَ ويذبَحَ ويُهلِك. وأمَّا أنا فقد أتيتُ لِتَكُونَ لهُم حياةٌ ولِيَكُونَ لهُم أفضَل. (يُوحَنَّا ١٠: ٧- ١٠)

نَجِدُ الكَثيرَ من الأجوبَة على السُّؤال، "من هُوَ يسُوع؟" عندما أعلَنَ يسُوعُ عن نفسِهِ في عِدَّةِ مُناسباتٍ قائِلاً، "أنا هُوَ، أنا هُوَ، أنا هُوَ..." الجوابُ العَميقُ الذي نَجِدُهُ هُنا هُوَ عندما يُقَدِّمُ يسُوعُ نفسَهُ كالرَّاعِي الصَّالِح الذي تكلَّمَ عنهُ داوُد في مَزمُورِهِ، ثُمَّ يُضِيفُ يسُوعُ قائِلاً، "أنا هُوَ بابُ الخِراف."

سافَرَ راعي كنيسة إلى الأراضِي المُقدَّسة، لِيَدرُسَ كيفيَّةَ رِعايَةِ الخِراف، لأنَّهُ كانَ مُصَمِّماً على تعلُّمِ معنَى الإستِعاراتِ المُتَعدِّدَة عن الخراف في الكتابِ المُقدَّس، مثل تلكَ التي إستَخدَمَها داوُد في مزامِيرِهِ الرَّاعويَّة، وتلكَ الإستِعارة التي ننظُرُ نحنُ إليها الآن. ولقد تمَّ تمثيلُ تلكَ الإستِعارَة عن بابِ الخراف أمامَ راعي الكنيسةِ هذا، ذاتَ مساء. ولقد تعجَّبَ أن يَجِدَ في وسطِ قَريَةٍ ما حظيرَةَ خِرافٍ كبيرة، كانت تأوِي في جنباتِها عدَّةَ قُطعانِ غنمٍ طوالَ اللَّيل. وكانَ يُكَلَّفُ راعٍ بِحمايَةِ الخرافِ في اللَّيل. وكانت حظيرَةُ الخرافِ مُحاطَةً بحائِطٍ قَويّ مُستَديرٍ، بِحَيثُ تُحفَظُ الخرافُ داخِلَهُ بأمان.

وحيثُ تتوقَّعُ أن تَجِدَ بابَ الحَظيرَة، كانَ يُوجَدُ فتحَةٌ عرضُها مِتران. وبما أنَّ راعي الكنيسة ظَنَّ أنَّ الخرافَ قد تهرُبُ منَ الحظيرة، أو أنَّ

الذِّئابَ المُفتَرِسَةَ قد تتَسلَّلُ لتأكُلَها في الدَّاخِل، سألَ الرَّاعِيَ، "أينَ هُوَ الباب؟" فإستَلقَى الرَّاعِي على الأرضِ، ومدَّدَ جسدَهُ في الفُتحَةِ المَوجُودَةِ هُناك وقالَ، "أنا هُوَ الباب. فلا يستَطيعُ ولا أيُّ خَروفٍ أن يخرُجَ منَ الحَظيرَةِ إلا إذا إجتازَ فوقَ جسدِي، ولا يَستَطيعُ أيُّ حَيوانٍ مُفتَرِسٍ أن يدخُلَ إلى الدَّاخِل إلا إذا مشى على جَسَدِي."

نكتَشِفُ التَّطبيقَ الأساسِيَّ المقصُود من هذه الإستِعارَة، عندما يَقُولُ الرَّبُّ، "إن دَخَلَ بي أحَدٌ فيخلُصُ." وهُنا تطبيقٌ آخر إضافِيٌّ: "الذي يدخُلُ إلى الحَظيرَةِ من خلالِي سيدخُلُ ويخرُجُ ويَجِدُ مَرعَىً." يُقَدِّمُ يسُوعُ تصريحاً جَريئاً أمامَ القادَةِ الدِّينيِّين اليَهُود، بأنَّهُ يُؤَسِّسُ حظيرَةَ خرافٍ أُخرى. فهُوَ يدعُو للخُرُوجِ من حظيرَةِ خراف اليهوديَّة أُولئكَ الذين سيُشَكِّلُ من خلالِهم حظيرَتَهُ الجديدة. لقد كانَ يسُوعُ يُشيرُ نبويَّاً ومجازِيَّاً إلى الكنيسة التي أعلَنَ أنَّهُ كانَ سيُؤَسِّسُها.

بَينَما نقرَأُ إنجيلَ متَّى، وإلى أن نَصِلَ إلى الإصحاحِ السَّادِس عشَر، نجدُ يسُوعَ يبنِي كنيستَهُ. عندما نقرَأُ الإصحاح السَّادِس عشر منَ الإنجيلِ الأوَّل، نسمَعُ يسُوعَ يُعلِنُ أنَّهُ سيَبنِي كنيستَهُ وكُلُّ أبوابِ الجحيمِ لن تقوَى عليها، ولن تمنَعَهُ من بنائِها. تعني كلمة كنيسة حرفِيَّاً: "المَدعُوِّينَ إلى خارِج." في هذه الإستِعارَة العميقة والجميلة، يُعطينا يسُوعُ وصفاً رائعاً لما هي الكنيسة.

تُعتَبَرُ هذه بالحقيقة إستِعارَةً مُزدَوِجَة؛ عِندَما صَرَّحَ يسُوعُ قائِلاً أنَّهُ هُوَ البابُ الذي من خلالِهِ ينبَغي أن تعبُرَ الخِرافُ لكَي تخلُص؛ تفسيرُ كلمة "تخلُص" يعني حرفِيَّاً أن تَكُونَ في أمانٍ وسلامَةٍ. ولكنَّ التَّطبيقَ المَقصُود هُوَ أنَّهُ فقط من خلالِ يسُوع نستيطعُ أن نخلُص (أعمال ٤: ١٢). وسوفَ يُكَرِّرُ يسُوعُ قولَ هذا الأمر نفسَهُ لاحِقاً في الإنحيل، عندما يُقدِّمُ التَّصريحَ العَقائِديَّ أنَّهُ هُوَ الطَّريقُ إلى الله، وأنَّهُ لا يُوجَدُ طَريقٌ آخر غيرَهُ إلى اللهِ الآب (يُوحَنَّا ١٤: ٦).

الجزءُ الثَّاني من هذه الإستِعارَة، التي تَصِفُ الخرافَ وهي تتحرَّكُ إلى داخِلِ وخارِجِ حظيرَةِ الخراف لتَجِدَ المراعِي الخَضراء، تَصِفُ بِشَكلٍ نَبَوِيٍّ خُطَّةَ المسيح لوضعِ المُخَلَّصينَ في حظيرَةِ خرافِ الكنيسة. وإذ

يدخُلُونَ ويخرُجُون إلى المُجتَمَعِ الرُّوحِيِّ لجماعَةِ الكنيسة، سيَجِدُونَ كُلَّ ما يحتاجُونَهُ ليَعِيشُوا لِلمَسيحِ ويخدُمُوه (أفسُس ٤: ١٢).

يُخبِرُنا اللهُ أنَّهُ لَيسَ حَسناً أن يبقَى الإنسانُ وحدَهُ، وهكذا وضعَ اللهُ المُتَوَحِّدينَ في عائِلاتٍ (تكوين ٢: ١٨). عندما يجدُ خَروفٌ ضالٌّ الطَّريقَ إلى الخلاص، يكُونُ الرَّاعِي الصَّالِحُ بابَ حَظيرَةِ الخرافِ أيضاً، الأمرُ الذي يَضعُ الخرافَ المُخلَّصَةَ في عائِلاتٍ.

هل سبقَ ولاحظتَ هذا المَوضُوع في الكتابِ المُقدَّس؟ قد تُسَمِّيهِ، "دُخُولُ وخُرُوجُ شَعبِ الله." فالخُدَّامُ العُظماء لأجلِ اللهِ هُم عابِدُونَ عُظماء لله قبلَ أن يُصبِحُوا خُدَّاماً لله. أُولئكَ الذين يذهَبُونَ لأجلِ الله، يختَبِرُونَ أوَّلاً مَجيئاً إلى الله. فهُم يجتازُونَ عبرَ إختبارٍ مَجيءٍ نافِعٌ، قبلَ أن يُصبِحَ لَدَيهِم ذهابٌ مُثمِر.

عندَما تدرُسُ سِيَرَ حياةٍ في الكتابِ المُقدَّس، إبحَثْ عن إختِباراتِ المجِيء لِشَعبِ الله، التي غالِباً ما تَسبِقُ إختباراتِهم في الذَّهاب. مثلاً، مُوسى عاشَ ثمانِينَ سنَةً من إختباراتِ المَجيءِ إلى الله، قبلَ أن يَصِلَ إلى الأربَعينَ سنَةً منَ الذَّهابِ في خدمَةٍ مُثمِرَة. أنا مُقتَنِعٌ أنَّ ذهابَنا غالِباً ما يَكُونُ غَيرَ مُثمِرٍ وبِدُونِ مغزَى، لأنَّنا بِبَساطَةٍ نذهَبُ، ولكن بِدُونِ أن نَجيءَ أوَّلاً إلى محضَرِ الله. هذه إستِعارَةٌ جميلة: "ويدخُلُ ويخرُجُ ويَجِدُ مَرعَى." اللهُ يُبارِكُ دُخُولَنا، وبعدَ ذلكَ يُبارِكُ خُرُوجَنا.

لاحِظُوا الدَّعواتِ المُتَعَدِّدَة التي دعانا بها يسُوعُ لِنَجيءَ إليهِ. "تعالَوا إليَّ أيُّها المُتَعبين والثَّقيلي الأحمال وأنا أُريحُكُم. إحمِلُوا نيري عليكُم وتعلَّمُوا مِنِّي، لأنِّي وديعٌ ومُتَواضِعُ القَلب، فَتَجِدُوا راحَةً لِنُفُوسِكُم. لأنَّ نيري هَيِّن وحِملي خَفيف." (متَّى ١١: ٢٨- ٣٠). في سِجلِّ الإنجيل، نقرَأُ أنَّهُ عندما تجاوَبَ النَّاسُ معَ هذه الدَّعواتِ بمجيءٍ لهُ مغزى، أُروِيَ عطَشُهُم، وأُشبِعَ جُوعُهُم، ووجدُوا راحَةً لِنُفُوسِهِم.

وبعدَ ذلكَ، سَمِعُوا دائماً المَأمُوريَّةَ العُظمَى. "الآن إذهَبُوا. فالآنَ وقد تمتَّعتُم بهذا المَجيء الذي لهُ مغزى، الآن وقد شَرِبتُم من ماءِ الحياة، دَعُوا شُربَكُم لماءِ الحياةِ هذا يُصبِحُ فيكُم نبعاً يشرَبُ منهُ الآخرُون. دَعُوا إرواءَ ظَمَئِكُم يُنتِجُ مياهً حَيَّةً تنبَعُ منكُم إلى الآخرين." بكلماتٍ أُخرى، لقد إختَبَرنا

مَجيئاً نافِعاً، فأصبَحَ لدينا ذهاباً مُثمِراً. "أدخُلُوا فتَجِدُوا مرعَىً، ثمَّ أخرُجُوا."

وجدَ الكَثيرُونَ منَ المُؤمنينَ تعزِيَةً كبيرَةً في وَعدِ هذا الرَّاعِي الصَّالِح في العددِ الرَّابِع، كونَهُ يتقدَّمُ أمامَ خِرافِهِ عندما يَدعُوها فتتبَعُهُ. هُناكَ أوقاتٌ في حياتِنا يُريدُنا فيها راعِينا الصَّالح أن نعمَلَ شَيئاً جديداً (إشعياء ٤٣: ١٩). ثُمَّ يَدعُونا لنَخرُجَ ونتبَعَهُ إلى ذلكَ الفَصل الجديد الذي يُريدُ الرَّبُّ أن يكتُبَهُ في يومِيَّاتِ إيمانِنا. فهُو يُحِبُّنا لِدَرَجَةِ أنَّهُ أحياناً لا يَعُودُ صَوتُ دعوتِهِ لنا مُجَرَّدَ صَوتٍ يدعُونا للتَّقدُّمِ إلى مجالٍ جديدٍ في الإيمانِ والخِدمة. فأحياناً، وفي عنايَتِهِ الإلهيَّة المُحِبَّة، يُدَبِّرُ الرَّبُّ مُسَبِّباتٍ تُوفِّرُ لنا دَفعاً منَ الخلفِ للتَّقدُّم.

فعندما يَكُونُ لديهِ مكانٌ جديدٌ لنا على ترتيباتِ مشيئَتِهِ، يَكُونُ لدَيهِ ثلاثَةُ أعمالٍ يُريدُ أن يُنجِزَها في حياتِنا. أوَّلاً، عليهِ أن يُخرِجَنا منَ المكانِ القَديم. فبما أنَّنا لدَينا مَيلٌ لِلبَحثِ عنِ الأمان، يمنَعُنا هذا من تركِ مكانِنا القديم الآمِن. لهذا يتوجَّبُ أن يزيدَ الرَّبُّ على الصَّوتِ الذي يدعُونا بهِ منَ الأمامِ للتَّقدُّم، فيُضيفُ حوافِزَ تُحَرِّكُنا من مكانِنا القَديم.

وخِلالَ هذه المرحلَة الإنتِقالِيَّة بينَ الشَّيءِ القَديم والجديد الذي يدعُونا الرَّبُّ إليه، يكُونُ عمَلُهُ الثَّانِي أن يُبقِيَنا نتحرَّكُ لكي يستطيعَ جَرَّنا خلالَ المرحَلَةِ الإنتِقالِيَّة. وعمَلُهُ الثَّالِثُ هُوَ أن يجعَلَنا نَكُونُ مُستَقيمينَ، أو أن يُقَوِّمَنا لكي يجعلَنا نستَقِرُّ في المكانِ الجديد الذي أعدَّهُ لنا، وهذا الشَّيءُ الجديدُ هُو ما يُريدُ الرَّبُّ أن يعمَلَهُ فينا، لأجلِنا، ومن خلالِنا.

هذه العمليَّة مُوضَّحَةٌ في العهدِ القَديم، عندما أرادَ اللهُ أن يَنقُلَ بني إسرائيلَ من مِصرَ إلى أرضِ المَوعِدِ في كَنعان. قالَ اللهُ لمُوسى أن يُعَلِّمَ أجيالَ شعبِ اللهِ الطَّالِعة القَولَ: "وأخرجَنا من هُناكَ لِكَي يأتِيَ بنا ويُعطِيَنا الأرضَ التي حلفَ لآبائِنا." (تثنِيَة ٦: ٢٣).

صَوتُ اللهِ الذي كانَ يَقُودُهُم إلى الأمرِ الجَديد والمكانِ الجديد، أُعلِنَ لهُم بِغَيمَةٍ نهاراً وعمودِ نارٍ لَيلاً، لِقِيادَتِهم عبرَ بَرِّيَّةِ عدَمِ إيمانِهِم نحوَ أرضِ المَوعِد. وهُم يُديرُونَ ظُهُورَهُم نحوَ البَحرِ الأحمَر، هاجَمَهُم الجَيشُ المِصريُّ تحتَ سحابَةٍ منَ الغُبارِ، الأمرُ الذي أشارَ إلى دَفعَةٍ منَ الخَلفِ كدافِعٍ إلهيٍّ لإخراجِهِم منَ القَديم، ولإيصالِهِم إلى المكانِ الجديد الذي أرادَهُ

اللهُ لهُم. هذه طريقَةُ العهدِ القَديم للتَّعبيرِ عن الحقيقَةِ نَفسِها التي يُعَلِّمُها يسُوعُ في هذه الإستِعارَة العَميقة.

يُوجَدُ تطبيقٌ تعَبُّدِيٌّ آخر في هذه الإستِعارَة. عندما نَسمَعُ يسُوع يَقُولُ أنَّهُ هُوَ بابُ الخِراف، إن كُنَّا نعرِفُ أنَّهُ هُوَ راعِينا، عندها لن يتمكَّنَ أيُّ "ذِئبٍ" (أي مُشكِلَةٍ) منَ الدُّخولِ إلى حياتِنا، إلا إذا إجتازَ أوَّلاً على جَسدِ راعِينا. ينبَغي أن يَكُونَ هذا مصدَرَ راحَةٍ وتعزِيَةٍ لِشَعبِ اللهِ الأَتقِياء، الذين لَديهِم مشاكِل مثل المَرَض والعَجز. وكَشَخصٍ مُقعَدٍ كَسيحٍ في السَّرير، أجِدُ شَخصِيَّاً تعزِيَةً كَبيرَةً لحالَتي في هذا التَّطبيق.

وكَما كانَتِ الحالُ في سِفرِ أيُّوب، هذه المَشاكِل قد لا تأتي مُباشَرَةً منَ الرَّبّ، ولكنَّها لا تَستطيعُ الوُصُولَ إلَينا إلا في إطارِ إرادَةِ اللهِ السَّامِحَة. فالشَّيطانُ كانَ ينبَغي أن يحصَلَ على سَماحٍ منَ اللهِ لإيلامِ أيُّوب، وأَعتَقِدُ أنَّهُ بحاجَةٍ أيضاً إلى سَماحٍ منَ راعِينا لإيلامِنا. فلا ذِئب ولا مُشكِلَة تقدِرُ أن تَصِلَ إليَّ أو إلَيكَ إلا إذا إجتازَت عبرَ راعينا.

يُوجَدُ تطبيقٌ آخَر في هذه الإستِعارَة العَميقَة، عندَما يُقَدِّمُ الرَّبُّ يسُوعُ ذلكَ التَّصريح العَلَني لرجالِ الدِّين اليَهُود: "السَّارِقُ لا يأتِي إلا لِيَسرِقَ ويذبَحَ ويُهلِك؛ أمَّا أنا فقد أَتَيتُ لِكَي تَكُونَ لهُم حياةٌ، ولِيَكُونَ لهُم أفضَل." ماذا يقصُدُ يسُوعُ عندما يَقُولُ أنَّ جَميعَ الذين أتوا قبلَهُ هُم سُرَّاقٌ ولُصُوص؟ (١، ٢) أو ماذا قَصَدَ عندَما قالَ، "إنَّ الذي لا يَدخُلُ منَ البابِ إلى حَظيرَةِ الخرافِ بل يطلَعُ من مَوضِعٍ آخر، فذاكَ سارِقٌ ولِصٌّ؟" ماذا يقصُدُ عندما يُشيرُ لاحِقاً في هذا المقطَع إلى "الأجير."

تَذَكَّرُوا أنَّ الرَّبَّ يسُوعَ قالَ عندَما طَهَّرَ الهَيكَل، "مكتُوبٌ، بَيتِ بيت الصَّلاةِ يُدعَى، وأنتُم جعَلْتُمُوهُ مغارَةَ لُصُوص." (متَّى ٢١: ١٣؛ مرقُس ١١: ١٧) عندما إفتَتَحَ الرُّومانُ أُورشَليم بعدَ أن نطقَ يسُوعُ بهذه الكلمات بأربَعين سنَةً، وجدُوا ما يُساوِي قيمَةً أكثَر من خمسة ملايين دُولاراً في خزنَةِ الهَيكَل. فلقد إستَغَلَّ رِجالُ الدِّينِ الحُجَّاجَ المُتَدَيِّنين بطريقَةٍ فاسِدة، وأخذُوا منهُم الرِّبحَ القَبيحَ، ممَّا جعلَهُم يستَحِقُّونَ ألقابَ سُرَّاقٍ ولُصُوص.

ودَعاهُم أيضاً "أُجراء." ويقصُدُ بهذا أنَّهُم لم يَكُونُوا يهتَمُّونَ لِلخِراف. بل كانَ كُلُّ واحِدٍ منهُم مُجَرَّدَ أجيرٍ. لاحِظُوا قَولَهُ عندما يُغَيِّرُ الإستِعارَةَ في الأعدادِ التَّالِيَة: "أنا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِح. والرَّاعِي الصَّالِحُ

يبذُلُ نفسَهُ عنِ الخِراف. وأمَّا الذي هُوَ أجيرٌ ولَيسَ راعِياً الذي لَيسَتِ الخرافُ لهُ فيَرَى الذِّئبَ مُقبِلاً ويترُكُ الخرافَ ويهرُبُ. فيخطَفُ الذِّئبُ الخرافَ ويُبَدِّدُها. والأجيرُ يهرُبُ لأنَّهُ أجيرٌ ولا يُبالِي بالخِراف." (يُوحَنَّا ١٠: ١١- ١٣).

كانَ هذا حُكماً قاسِياً على هؤُلاء القادَة الدِّينيِّين. لقد كانُوا هُم السُّرَّاق واللُّصُوص والأُجراءَ الذين أشارَ إليهِم هُنا. وكانُوا جُزءاً منَ نظامِ الإستِغلال الدِّيني الفاسِد الذي جعلَ منهُم أغنِياء. ومنَ الواضِحِ أنَّهُم لم يُعيرُوا أيَّ إهتِمامٍ يُذكَر لذلكَ الرَّجُلُ أمامَ بِركَةِ بَيتِ حسدا، الذي كانَ مُقعَداً لِثمانٍ وثلاثِينَ سنَةً. لم يَهتَمُّوا بهِ البَتَّةَ، ولم يُسرُّوا أبداً بأنَّهُ قد تمَّ شِفاؤُهُ. وبالطَّريقَةِ نفسِها، لم يَكُنْ لدَيهِم أيُّ عَطفٍ أبداً على الرَّجُلِ الأعمى، ويبدُوا أنَّهُم إستاؤُوا جِدّاً بسببِ المُعجِزَة التي جعلَتْهُ قادِراً على البَصَر.

كيفَ يُمكِنُ أن يَكُونُوا قُساةً وعديمي العَطف إلى هذه الدَّرَجة على هَؤُلاء المرضَى الذين أحبَّهُم يسُوعُ كَثيراً؟ يُمكِنُنا أن نَجِدَ التَّفسيرَ هُنا تماماً. فهَؤُلاء لم يَكُونُوا رُعاةً، بل كانُوا أُجَراء، الأمرُ الذي يعني أنَّهُم كانُوا يمتَهِنُونَ الدِّينَ تجارَةً، وكانُوا يعمَلُونَ لأجرٍ ولأجلِ المنافِعِ والشُّهرَةِ التي كان يحظَى بها رِجالُ الدِّين. ولقد كانُوا سُرَّاقاً ولُصُوصاً. كانُوا بالتَّعريفِ الكتابِيِّ للكَلِمة يسعُونَ وراءَ الرِّبحِ القبيح. وكانُوا يُحَصِّلُونَ ما يُعادِلُ ملايين الدُّولارات نتيجَةً لإستِغلالِ الحُجَّاجِ المُتَديِّنِينَ خلالَ الأعيادِ المُقدَّسة، ولإستِغلالِ شَعبِ اللهِ طيلَةَ أيَّامِ السنة.

ولقد كَلَّفَ يسُوعُ لاحِقاً في هذا الإنجيل بُطرُسَ بأن يُظهِرَ محبَّتَهُ لِمُخَلِّصِهِ برِعايَتِهِ لِلخرافِ التي أحبَّها يسُوع. فرِجالُ الدِّينِ هؤُلاء لم يَهتَمُّوا بتاتاً بهذه الخراف. فبَينما تمَّ تكليفُهُم، مثل بُطرُس، وإعتَرَفُوا بأنَّهُم مدعُوُّونَ لرِعايَةِ وإطعامِ هذه الخراف، كانُوا ينهَشُونَ منهم لأنفُسهم ملايين الدُّولارات بإستِغلالِ خرافِ شعبِ اللهِ وجزِّ صُوفِهم.

ولكنَّ نقيضَ هذه الصُّورَة يظهَرُ بِوُضُوحٍ في شَخصِ المسيح الذي قالَ عن نفسِهِ: "أنا هُوَ." "أنا هُوَ الرَّاعي الصَّالِح (ولقد قدَّمَ هذا التَّصريحَ مرَّتَين.) وأعرِفُ خاصَّتي وخاصَّتِي تعرِفُني. كما أنَّ الآبَ يعرِفُني وأنا أعرِفُ الآب. وأنا أضَعُ نفسِي عنِ الخراف."

وكما في الإصحاحِ الخامِس، صَرَّحَ يسُوعُ قائِلاً: "أنا والآب لدينا علاقَة. فأنا أعرِفُ الآبَ والآبُ يعرِفُني. وأنا أدعُو خِرافِي، كالمرأة السامِرِيَّة عندَ البِئر، وكنيقوديمُوس، وكالرَّجُلِ أمامَ بِركَةِ بَيتِ حسدا، وكهذا الرَّجُلِ الأعمى الذي إستَعادَ بَصَرَهُ." هؤُلاء هم الأشخاص الذي كانَ يسُوعُ يقصِدُهُم عندما قالَ، "أنا أعرِفُ خرافِي. وخرافي تعرِفني وتسمَعُ صَوتي. ولكنَّها لا تَسمَعُ صَوتَ الغُرباء أو اللُّصُوص بل تعرِفُ صَوتي وتَتبَعُني."

في إطارِ هذه الإستِعارَة العميقة عنِ الخراف، أضافَ يسُوعُ قائِلاً: "لي خرافٌ أُخَر ليسَت من هذه الحَظيرة." لقد سَمِعتُ هذا العَدَدَ يُطَبَّقُ بطُرُقٍ مُتنوِّعَة. في كَنيسةٍ تتألَّفُ من عِرقٍ واحِدٍ، سَمِعتُ هذا العَدَدَ يُقتَبسُ لِيُشِيرَ إلى الإعتِرافِ بأنَّهُ يُوجَدُ مُؤمِنُونَ من أعراقٍ أُخرى. وسَمِعتُ أيضاً أشخاصاً ينتَمُونَ إلى هُوِيَّةٍ عقائِدِيَّةٍ لاهُوتِيَّةٍ مُعَيَّنَة يعتَرِفُونَ على مَضَضٍ بهذه الحقيقَةِ نفسِها مُقتَبِسينَ هذا العدد – أنَّ هُناكَ أشخاصاً يختَلِفُونَ عنهُم بإيمانِهم، ولكنَّهُم أيضاً ينتَمُونَ لهذه الحظيرة.

إنَّ التَّفسيرَ والتَّطبيقَ الذي قصدَهُ يسُوعُ مُبَيَّنٌ في سفرِ الأعمال. ففي ذلكَ السِّفرِ التَّاريخيِّ المُوحَى بهِ منَ اللهِ في العهدِ الجديد، وإلى أن تَصِلُوا إلى الإصحاحِ العاشِر، ستَجِدُونَ أنَّ كُلَّ المُؤمنينَ في الكنيسةِ كانُوا يَهُوداً. المُعجِزَةُ المَجيدَة بأنَّ الكنيسةَ التي سيبنِيها يسُوعُ كانت ستحوي أُمماً أيضاً، هي التَّفسيرُ والتَّطبيقُ الأساسيُّ الذي قصدَهُ يسُوعُ في هذا التَّصريح، "لي خرافٌ أُخر ليسَت من هذه الحَظيرة. التَّفسيرُ والتَّطبيقُ الأساسيُّ في هذا العدد هُوَ أنَّ الأشخاص غير اليَهُود سيُكُونُونَ جُزءاً من هذا القطيع. فلقد أعطى الرَّبُّ لبُطرُس إعلاناً خارِقاً للطَّبيعة، وكرَّرَهُ ثلاثَ مرَّاتٍ لِيُقنِعَهُ أنَّ الكنيسةَ ينبَغي أن تَحوِي أُمَماً (أعمال الرُّسُل ١٠).

أحدُ المُبَشِّرين اليَهُود المَسياوِيِّين، الذي كانَ واعِظاً حيوِيَّاً مُقتَدِراً، ألقَى عظَةً أمامَ بضعَةِ مِئاتٍ من طُلابِ اللاهُوت. وبينما توجَّهَ الكثيرُونَ منَّا لِمُصافَحتِهِ وتهنِئتِهِ على عظتِهِ الرَّائِعة، قالَ لهُ أحدُ المَسؤولينَ في كُلِّيَّةِ اللاهُوت، "أنتَ أوَّلُ يَهُودِيٍّ مُؤمِنٍ بالمسيح أسمَعُهُ يَعِظ." فإلتَفَتَ الواعِظُ اليَهُودِيُّ المُتَجَدِّدُ نحوَ هذا المَسؤول وسألَهُ، "ألم تسمَع أبداً وعظَ الرُّسُل الإثنَي عشَر؟" فنحنُ ننسى عادَةً أنَّ الرُّسُلَ الإثنَي عشرَ كانُوا جميعُهُم يَهُوداً.

الإنجيلُ الذي كرَزَ بهِ المسيحُ الحَيُّ المُقامُ وأتباعُهُ، تمَّ وصفُهُ كإعلانٍ يَهُودِيٍّ مسيحيٍّ للحقيقَةِ، وذلكَ لِسَبَبين. أحدُهُما: أنَّ كُلَّ ما نُؤمِنُ بهِ كأتباعٍ للمسيح يرتَكِزُ أساساً على كلمةِ اللهِ، التي هي العهد القديم أوَّلاً، ومن ثَمَّ العهد الجديد، الذي يُخبِرُنا أنَّ يسُوعَ أتى، وعمَّا ينبَغي أن يعنيهِ هذا بالنِّسبَةِ لأُولئكَ الذين يُؤمِنُونَ بِيَسُوع. ثانِياً: كنيسةُ يسُوع المسيح كانت يهُودِيَّةً قبلَ أن تُصبِحَ قطيعاً منَ الغَنمِ المُخَلَّصِين، الذين يسمَعُونَ ويعرِفُونَ صَوتَ المسيح، الذي دعاهُم منَ اليَهُودِيَّةِ لإتِّباعِ المسيح.

مُلَخَّص:

تُلَخَّصُ هذه الأعداد السِّتَّة عشر الأُولى من إنجيلِ يُوحنَّا الإصحاح العاشِر بالسُّؤال: من هُوَ يسُوع؟ في هذا الإصحاح، إنَّهُ البابُ الذي يُؤَدِّي إلى حَظيرَةِ الخراف، وهُوَ البابُ الوحيدُ الذي تستطيعُ الخرافُ الدُّخُولَ منهُ لِتَجِدَ الخلاص. وبعدَ ذلكَ، بإمكانِ الخرافِ أن تَختَبِرَ دُخُولاً مُستَمِرَّاً نافِعاً، وخُروجاً مُثمِراً من هذا الباب. هذا من هُوَ يسُوعُ هُنا.

وما هي الحياةُ في هذا الإصحاح؟ الحياةُ الأبديَّةُ هي أن تَكُونَ واحداً من خرافِهِ. فنحنُ نجدُ الخلاصَ عندما ندخُلُ إلى قَطيعِ الغنم منَ البابِ الذي هُوَ إيَّاهُ، وبذلكَ نُحفَظُ في أمانٍ وسلام. فالحَياةُ هي دُخُولٌ مُستَمِرٌّ لإيجادِ المراعي الخضراء. فحاجاتُنا ستُلَبَّى عندما نأتي إليهِ، لأنَّهُ جاءَ لتَكُونَ لنا حياةٌ، ولتَكُونَ لنا هذه الحياةُ بِفيضٍ. فالحياةُ هي إذاً أن نَجِدَ في قَطيعِ الخراف الرُّوحي، أي الكنيسة، كُلَّ ما نحتاجُهُ لنحيا في المسيح، ونخدِمَ رَبَّنا ونُمَجِّدَ الله.

وما هُوَ الإيمانُ؟ الإيمانُ هُوَ الإقتِناعُ بأنَّ المسيحَ الحَيَّ المُقام هُوَ البابُ الذي يَقُودُ إلى الخلاص وإلى بركاتِ القَطيع. الإيمانُ هُوَ الثِّقَة بأنَّهُ هُوَ وحدَهُ البابُ الذي ينبَغي أن ندخُلَ منهُ ونعبُرَ إذا أردنا أن نخلُصَ وأن ندخُلَ الحياةَ الأبديَّة. لِهذا، الإيمانُ هُوَ رَفضُ إتِّباعِ صَوتِ الغُرَباء والسُّرَّاقِ واللُّصُوص.

الإيمانُ هُوَ أيضاً سماعُ صَوتهِ والإلتِزامُ بإتِّباعِهِ. الإيمانُ هُوَ القرارُ بأن نصنَعَ تَغييراً، عالِمينَ أنَّهُ عندما يَدعُو خرافَهُ لتتبعَهُ، يتقدَّمُها هُوَ بِنفسِهِ،

ونحنُ نُصادِقُ على هذه المُعجِزة عندما نتبَعُهُ. بكلماتٍ أُخرى، الإيمانُ هُوَ القيادَةُ الإلهيَّةُ والإقتناعُ الواثِقُ بالتَّحلّي بالشَّجاعَةِ لإتِّباعِ الإرشادِ الإلهيِّ.

هذا من هُوَ يسُوع، وهذا ما هُوَ الإيمانُ، وهذا ما هي الحياةُ في الأعدادِ السِّتَّةِ عشر الأُولى من إنجيل يُوحَنَّا الإصحاح العاشِر.

الفَصلُ الخامِس
"الخرافُ الآمِنَة"
(يُوحَنَّا ١٠: ١٧- ٤٢)

"أمَّا أنا فإنِّي الرَّاعي الصَّالِح وأعرِفُ خاصَّتي وخاصَّتي تَعرِفُني. كما أنَّ الآبَ يَعرِفُني وأنا أعرِفُ الآب. وأنا أضَعُ نفسي عنِ الخِراف. ولي خِرافٌ أُخَر لَيسَت من هذه الحظيرة ينبَغي أن آتِيَ بِتِلكَ أيضاً فتسمَع صَوتي وتكُونُ رَعِيَّةٌ واحِدَةٌ وراعٍ واحِد."

"لِهذا يُحِبُّني الآبُ لأنِّي أضَعُ نفسِي لآخُذَها أيضاً. ليسَ أحَدٌ يأخُذُها منِّي بل أضَعُها أنا من ذاتِي. لِي سُلطانٌ أن أضَعَها ولي سُلطانٌ أن آخُذَها أيضاً. هذه الوَصيَّة قَبِلتُها من أَبِي." (يُوحَنَّا ١٠: ١٤- ١٨).

هُنا نَجدُ المسيحَ يَصِفُ عملَهُ الأكثر أهَمِّيَّةً. فلقد خدَمَ خدمَةً علنيَّةً لمُدَّةِ ثلاثِ سنواتٍ، ولقد أصبَحَ في أُورشَليم، الأمرُ الذي سيُوفِّرُ الإطارَ لأهَمِّ عمَلٍ يعملُهُ في العالم.

وكما لاحظتُ في نظرَتي لهذا الإنجيل، يُوجَدُ واحِدٌ وعِشرُونَ إصحاحاً في إنجيلِ يُوحَنَّا. تقريباً نصفُ هذه الإصحاحات تُخبِرُنا عن السَّنوات الثلاث والثَّلاثين الأُولى من حياةِ يسُوع، ولكنَّها لا تُخبِرُنا شَيئاً عن ولادَتِهِ ولا عن السَّنواتِ الثَّلاثين الأُولى من حياتِهِ. بل هي تتحدَّثُ فقط عنِ السَّنواتِ الثلاث الأخيرة من حياتِهِ. وسُرعانَ ما نَجِدُ أنفُسَنا نَقرأُ الإصحاح الثَّانِي عشَر، نجدُ أنَّ السنواتِ الثلاث والثَّلاثين من حياتِهِ قدِ إنقَضَت، بما في ذلكَ ثلاث سني خدمتِهِ العَلنيَّة. وكُلُّ الإصحاحاتِ الأُخرى – تقريباً نصف مُحتَوى هذا الإنجيل – تَصِفُ الأُسبُوعَ الأخير من حياتِهِ.

هُناكَ تِسعَةٌ وثمانُونَ إصحاحاً في الأناجيلِ الأربَعة. فقط أربَعة منها تُغَطِّي ولادَتَهُ والسنوات الثَّلاثِين الأُولى من حَياتِهِ. ثَمانِيَة وخَمسونَ إصحاحاً تُرَكِّزُ على السَّنواتِ الثلاث الأخيرة، وسَبعَةٌ وعشرُونَ إصحاحاً

تتَكلَّمُ عنِ الأُسبُوعِ الأخيرِ من حَياتِهِ. فلماذا يُعتَبَرُ الأُسبُوعُ الأخيرُ من حياةِ المسيح على هذا القدَر منَ الأهمِّيَّة؟ الوَصفُ المَكتُوبُ للأُسبُوعِ الأَخيرِ من أهمِّ حَياةٍ عاشَها أحدٌ على الإطلاق، يُشَكِّلُ نصفَ مُحتَوى سيرَةِ حياة يسُوع هذه، لأنَّ هذه الإصحاحاتِ والأعداد تُسَجِّلُ مُعجِزَةَ موتِ المسيح وقيامَتِهِ من أجلِ خلاصِنا. فَموتُهُ وقِيامَتُهُ كانا من أجلِ خلاصِ خَطايا العالَمِ أجمَع بِشَكلٍ عامٍّ، وخطاياكَ وخطاياي بِشكلٍ خاصّ.

كأتباعِ يسُوع، لدَينا مأمُوريَّة بأن نكرِزَ بالإنجيلِ للعالَمِ أجمَع. في خاتِمَةِ الأناجيلِ الأربَعة، وفي بِدايَةِ سفرِ أعمالِ الرُّسُل، يُعطينا الرَّبُّ مأمُوريَّةً بأن نُتَلمِذَ أُناساً ليَسُوع خلالَ كرازَتِنا بالإنجيل في كُلِّ أُمَّةٍ في العالم. فإذا أخَذنا المأمُوريَّةَ العُظمَى على مَحمَلِ الجَدّ، علينا أن نُدرِكَ أنَّنا قبلَ أن نبدَأَ بالكرازَةِ بالإنجيل، علينا أن نفهَمَ ما هُوَ الإنجيل.

في رِسالَتِهِ الأُولى إلى أهلِ كُورنثُوس، يُعطينا بُولُس تعريفاً واضِحاً لِكَلِمَةِ "إنجيل." أنا أخافُ أنَّ النَّتائِجَ ستَكُونُ مُخجِلَةً إذا قامَ قَسِّيسُ كنيسَةٍ ذات مُعَدَّل وسَطِي بإعطاءِ ورقَةٍ وقَلَمٍ لكُلِّ واحدٍ من أعضاءِ كنيستِهِ وطلبَ منهُم أن يَكتُبُوا جواباً على السُّؤال: "ما هُوَ الإنجيلُ الذي نحنُ مُكَلَّفُونَ بالكِرازَةِ بهِ في العالم؟ وإدعَمُوا أجوبَتَكُم بأعدادٍ كِتابِيَّة."

في الأعدادِ الأربَعة الأُولى من الإصحاح الخامِس عَشَر من الرِّسالَةِ الأُولى إلى أهلِ كُورنثُوس، يُعطينا بُولُس جواباً مَكتُوباً على السُّؤالِ الذي ذكرناهُ أعلاهُ، والذي طرحَهُ قَسِّيسٌ إفتِراضِيَّاً على أعضاءِ كنيستِهِ عمَّا هُوَ الإنجيل. فبينما يختَتِمُ بُولُس رِسالَتَهُ للكُورنثُوسِيِّينَ، يكتُبُ قائِلاً ما معناهُ: "أوَدُّ أن أُذَكِّرَكُم الآن بما هُوَ الإنجيلُ الذي كَرَزتُ لكُم بهِ عندما جِئتُ إلى كُورنثُوس. هذا ما كرزتُ بهِ. وهذا ما آمنتُم بهِ. وهذا ما خَلَّصَكُم. وهذا ما تَقِفُونَ عليهِ الآن. وإذا آمنتُم بخلافِ ذلكَ وتمسَّكتُم بخلافِ ذلكَ، تَضِلُّون. فالآن هذا هُوَ الإنجيل: أنَّ يسُوعَ المسيح ماتَ من أجلِ خطايانا، بِحَسَبِ الكُتُب. وأنَّهُ قامَ منَ الأمواتِ بحَسَبِ الكُتُب."

هذا هُوَ بالتَّحديدِ والصَّراحَةِ والتَّدقيق الإنجيلُ الذي نكرِزُ بهِ للعالَمِ أجمع. فعندما يكُونُ لدَينا فهمٌ واضِحٌ لما هُوَ الإنجيل، نفهَمُ سببَ مقدارِ الأهمِّيَّةِ القُصوى التي أُعطِيَت للأسبُوعِ الأخيرِ من حياتِهِ. ثُمَّ نفهَمُ ما يُظهِرُهُ يسُوعُ لنا هُنا في هذه الأعداد، عندما يَقُولُ،"لِهذا يُحِبُّني أبي، لأنِّي

أضَعُ نفسِي عنِ الخراف لآخُذَها أيضاً. ليسَ أحَدٌ يأخُذُها منِّي، بل أضَعُها أنا من ذاتِي."

منَ المُربِكِ أن نُلاحِظَ عبرَ هذا الإنجيل أنَّ يسُوعَ لا يدَّعي أبداً أنَّهُ يعمَلُ أُمُوراً من نفسِهِ. فبِحَسَبِ يسُوعُ، هُوَ لا يعمَلُ شَيئاً. بل الآبُ يعمَلُ كُلَّ شَيءٍ، بهِ ومن خلالِهِ. فالآبُ هُوَ المنبَعُ والقُوَّةُ والقصدُ من كُلِّ كَلِمَةٍ يقُولُها، ومن كُلِّ عملٍ يعمَلُهُ. والآبُ هُوَ حَرفِيَّاً الشَّخصُ الذي يعمَلُ كُلَّ ما يعمَلُهُ يسُوعُ.

لَدَينا هُنَا إستِثناءٌ على هذا القَول. هذا هُوَ الوقتُ الذي يَقُولُ فيهِ أنَّهُ سيعمَلُ شَيئاً من ذاتِهِ. يَقُولُ، "لِهذا يُحِبُّني الآبُ، لأنِّي أضَعُ نفسِي لآخُذَها أيضاً. لا أحَد يأخُذَ حياتِي منِّي. فلَدَيَّ أنا السُّلطة أو القُوَّة لأضَعَها والسُّلطَةُ والقُوَّةُ لأستَرِدَّها أيضاً." ثُمَّ يَقُولُ، "هذه الوَصِيَّة قَبِلتُها من أَبِي." فهُوَ هُنا أيضاً لا يَدَّعِي أن يعمَلَ شَيئاً بمعزِلٍ عنِ الآب. بل هذا ما يبدُو للوهلَةِ الأُولى. لديهِ وَصِيَّةٌ ولديهِ سُلطَةٌ منَ الآبِ لِيَمُوت ويَقُومَ من المَوت.

سيُخبِرُنا لاحِقاً في هذا الإصحاح أنَّهُ هُوَ والآبُ واحِد (٣٠). الذي يَقصُدُهُ بهذا هُوَ أنَّ كُلَّ ما يَقُولهُ ويفعَلُهُ هُوَ بِبَساطَةٍ تدَفُّقٌ أو تعبِيرٌ عن وِحدَتِهِ معَ الآب. قد يَكُونُ هذا مُثيراً لإهتمامنا عندما نتأمَّلُ بِسُؤالٍ مثل، "ما هُوَ الإيمانُ؟"

فَعِندَما يُعَلِّمُ الرُّسُلَ في العُلِّيَّةِ، يَقُولُ لهُم ما جوهَرُهُ أنَّهُ بعدَ موتِهِ وقِيامَتِهِ، سيَكُونُ مُمكِناً لهُم أن يَكُونُوا واحِداً معَهُ، كما كانَ هُوَ واحداً معَ الآب. (يُوحَنَّا ١٤: ٢٠- ٢٤) يا لِهذا التَّحدِّي الرَّائِع، أن نُدرِكَ أنَّنا نستطَيعُ أن نَكُونَ واحداً معَ المسيح المُقام، كما كانَ وكما هُوَ الآن، وكما سيَكُونُ حتَّى نهايَةِ الأزمانِ واحداً معَ الآب.

في إطارِ هذا التَّعليم، أعطَى يسُوعُ رُسُلَهُ وعداً رائِعاً. أخبَرَهُم أنَّهُم إن كانُوا سيُصبِحُونَ في وِحدَةٍ معَ الرُّوحِ القُدُس، كما كانَ هُوَ معَ الآب، سيعمَلُونَ أعمالاً أعظَمَ ممَّا عمِلَ هُوَ. لا بُدَّ أنَّهُ قَصَدَ أنَّ أعمالَهُم ستَكُونُ أعظَمَ بمعنَى الكَمِّيَّة وليسَ النَّوعِيَّة، لأنَّهُم سيكُونُونَ كثيرِين. فتعليمُهُ فوق الإعتيادِيَّ، الذي سنتأمَّلُ بهِ بأكثَرِ عُمقٍ عندما سندرُسُ هذه الأعداد معاً، كانَ يعني بِجَوهَرِهِ أنَّ كَلِمَةَ اللهِ نُطِقَ بها وأنَّ عملَ اللهِ أُنجِزَ على الأرضِ

من خلالِهِ، لأنَّهُ كانَ واحداً معَ الآب. فإذا كانُوا سيُصبِحُونَ في وحدَةٍ معَ الرُّوحِ القُدُس، فإنَّ كَلِمَةَ وعملَ رَبِّهم ومُخَلِّصِهم ستُنطَقُ وتُنجَزُ على الأرضِ من خلالِهم.

في هذا المقطَع، يتكلَّمُ يسُوعُ عنِ المَوتِ والقِيامَة. هل تذكُرُونَ ذلكَ التَّصريح العقائِدي الصَّرف الذي قدَّمَهُ يسُوعُ لنيقُوديمُوس، عندما أعلَنَ أنَّهُ ينبَغي أن يمُوتَ على الصَّليب، لأنَّ مَوتَهُ على الصَّليب كانَ الخلاص الوحيد منَ الله، لأنَّهُ كانَ المُخَلِّص الوحيد المُرسَل منَ اللهِ؟ فهُوَ يبني على أساسِ هذا التَّصريح هُنا في هذا المقطَع، حيثُ يُعلِنُ قائِلاً: "عندما سيَحدُثُ هذا، هل تَظُنُّونَ أنَّني صُلبتُ بِبَساطَةٍ على الصَّليب، كما كانَ يُصلَبُ أيُّ شَخصٍ آخر يُعارِضُ سُلطَةَ الرُّومان. لن يَستطيعَ إنسانٌ أن يأخُذَ حياتِي منِّي بل أنا سأضَعُ حياتِي بفعلٍ إرادِيٍّ من مَشيئَتي، وبُرهانُ هذا هُوَ أنَّني سأستَرِدُّ حياتِي ثانِيَةً بإرادَتي."

لا نتفاجَأُ عندَما نقرَأُ:"فَحَدَثَ أيضاً إنشِقاقٌ بينَ اليَهُودِ بِسَبَبِ هذا الكلام. فقالَ كَثيرُونَ منهُم بِهِ شَيطانٌ وهُوَ يهذِي. لماذا تَستَمِعُونَ لهُ. آخرُونَ قالُوا ليسَ هذا كلام من بهِ شَيطان. أَلَعَلَّ شَيطاناً يقدِرُ أن يفتَحَ أعيُنَ العُميان." (يُوحَنَّا ١٠: ١٩- ٢١)

يتغَيَّرُ المَوضُوعُ هُنا في الإصحاحِ العاشِر. يبدَأُ قِسمٌ آخر في السِّفر معَ العددِ الثَّانِي والعشرين. فلقد إنقَضَت شُهُورٌ قبلَ أن يحدُثَ ما يَتِمُّ وصفُهُ الآن: "وكانَ عِيدُ التَّجديدِ في أُورشَليم، وكانَ شِتاءٌ. وكانَ يسُوعُ يتمشَّى في الهَيكَلِ في رِواقِ سليمان. فاحتاطَ بهِ اليَهُودُ وقالُوا لهُ إلى متى تُعَلِّقُ أنفُسَنا. إن كُنتَ أنتَ المسيحُ فقُلْ لنا جَهراً.

"أجابَهُم يسُوعُ إنِّي قُلتُ لكُم ولستُم تُؤمِنُون. الأعمالُ التي أنا أعمَلُها بإسمِ أبِي هي تَشهَدُ لي. ولكنَّكُم لستُم تُؤمِنُونَ لأنَّكُم لَستُم من خرافِي كما قُلتُ لكُم. خِرافِي تسمَعُ صَوتي وأنا أعرِفُها فَتتبَعُني. وأنا أُعطيها حياةً أبديَّةً، ولن تهلِكَ إلى الأبد، ولا يخطَفُها أَحَدٌ من يَدي. أبي الذي أعطاني إيَّاها هُوَ أعظَمُ منَ الكُلِّ ولا يقدِرُ أحدٌ أن يخطَفَ من يَدِ أبِي. أنا والآبُ واحِد." (يُوحَنَّا ١٠: ٢٢- ٣٠)

"فتناوَلَ اليَهُودُ حجارَةً لِيَرجُمُوهُ. أجابَهُم يسُوعُ أعمالاً كَثيرَةً حسنَةً أرَيتُكُم من عِندِ أبِي. بِسَبَبِ أيِّ عمَلٍ منها تَرجُمُونَني؟ أجابَهُ اليَهُودُ لَسنا

نَرجِمُكَ لأجلِ عمَلٍ حَسنٍ بل لأجلِ تجديفٍ. فإنَّكَ وأنتَ إنسانٌ تجعَلُ نفسَكَ إلهاً." (يُوحَنَّا ١٠: ٣١- ٣٣)

"من هُوَ يسُوعُ" في إنجيلِ يُوحَنَّا؟ تأكَّدْ من أن تَقُومَ بهذه المُلاحَظة عندما تقرَأُ هذا الإنجيل: في عِدَّةِ مقاطِع، منَ الواضِحِ جدَّاً أنَّهُ هُوَ المَسِيَّا. وفي مقاطِعَ أُخرى مثل هذا المقطع، منَ الواضِحِ جدَّاً أنَّهُ الله. إنَّهُ لَيسَ مُجرَّد شخصٍ إلهيّ، وليسَ هُوَ فقط إبن الله. إنَّهُ الله. إنَّهُ جزءٌ منَ شَخصِيَّةِ الله. إنَّهُ الإبنُ، واللهُ هُوَ الآبُ، وهُما يُقَدَّمانِ هُنا إلى جانِبِ الرُّوحِ القُدُس كثالُوثٍ مُقَدَّس: الآب، والإبن، والرُّوح القُدُس. والثَّلاثَة هُم الله الواحد.

نجدُ هذا الإله المُثَلَّث الأقانيم مُصَوَّراً على صفحاتِ الكتابِ المُقدَّسِ عامَّةً. مثلاً، في الإصحاح الأوَّلِ من الكتابِ المُقدَّس، الكلمَةُ المُستَخدَمَةُ لِوَصفِ اللهِ هي بِصيغَةِ الجَمع. نقرَأُ: "لنَصنَعِ الإنسانَ على صُورتِنا." إذا قرأتُم قِصَّةَ الخَلقِ عن كَثَب، ستَرونَ حُضُورَ الآبِ والرُّوحِ مُشارَاً إليهِ في مُعجِزَةِ الخَلق، لأنَّ الكلمات التي تُشيرُ إلى اللهِ هي بِصِيغَةِ الجمع. "نَعمَلُ الإنسانَ على صُورَتِنا كَشَبَهِنا..." ونقرَأُ أنَّ رُوحَ اللهِ كانَ يَرِفُّ على وجهِ المياهِ خلالَ عمليَّةِ الخَلق. وفي الصَّلاةِ الرَّائِعة التي صَلاَّها رَبُّنا للآبِ في هذا الإنجيل، قالَ: "والآن مَجِّدْني أنتَ أيُّها الآبُ عندَ ذاتِكَ بالمَجدِ الذي كانَ لي عِندَكَ قَبلَ كَونِ العالم." (يُوحَنَّا ١٧: ٥) لهذا نحنُ نعرِفُ أنَّ الإبنَ كانَ حاضِراً معَ الآبِ والرُّوحِ عندَ خلقِ العالَم.

لقد إنتَهَت جَولَةُ الحِوارِ هذه عندما سألُوهُ: "إلى متى تُعَلِّقُ أنفُسَنا. إن كُنتَ أنتَ المسيحَ فَقُلْ لنا جَهراً." فأشارَ إليهِم أنَّهُ سبقَ وأجابَ على سُؤالِهِم ولكنَّهُم لم يُصَدِّقُوهُ.

في نهايَةِ الإصحاحِ الثَّامِن، لم يَكُنْ هُناكَ أيُّ شَكٍّ بتاتاً في أذهانِ رِجالِ الدِّين أنَّ يسُوعَ كانَ يدَّعي بأنَّهُ الله. فحاوَلُوا أن يَرجُمُوهُ بدَعوَى التَّجديف، لأنَّهُم فَهِمُوا بِوُضُوحٍ ما صَرَّحَ بهِ عن نفسِهِ. نجدُ هذا التَّجاوُب نفسَهُ على أقوالِ يسُوع هُنا في هذا المقطَع: "فتناوَلَ اليَهُودُ أيضاً حجارَةً ليَرجُمُوهُ." كتبَ يُوحَنَّا كلمة "أيضاً" لأنَّهُم سبقُوا وحاوَلُوا رَجمَهُ في نهايَةِ الإصحاحِ الثَّامِن، عندَما قدَّمَ هذه التَّصريحات.

هُناكَ تشديدٌ على مَوضُوع العنايَة الإلهيَّة التي تمتَدُّ عبرَ إنجيلِ يُوحَنَّا. في الإصحاحِ السَّادِس، قدَّمَ يُوحَنَّا خدمَةَ الرَّبِّ في إطارِ عِنايَةِ الله:

كُلُّ من يُعطيهِ الآبُ سيُقبِلُ إليهِ، وإن لم يجتَذِبْهُم الآب، لن يستَطيعُوا أن يأتُوا. وعندما يجذِبُهُمُ الآبُ ويأتُون، لن يطرحَهُم خارِجاً. (يُوحَنَّا ٦: ٣٧-٤٧)

عندما سألُوهُ عن عملِهِ، أجابَهُم بالفِعل، "هذا ما أعمَلُهُ طوالَ النَّهار. أنا أتنقَّلُ بِبَساطَةٍ في هذا العالم، وخلالَ تنقُّلِي أنا أُعلِنُ هذه الكلمات التي هي رُوحٌ وحَياة. وعندما أنطِقُ بهذه الكلمات، الذين هُم خرافِي، أي الذين أُعطُوا لي، يُجتَذَبُونَ إليَّ من قِبَلِ الآبِ والرُّوح. فهُم يسمَعُونَ صَوتي ويُقبِلُونَ إليَّ. وعندما يأتُون، لا أُخرِجُهُم خارِجاً."

قالَ يسُوعُ في الإصحاحِ الخامِس، "لا يُعوِزُكُم البُرهانُ لتُؤمِنُوا بي. أنتُم لا تُؤمِنُونَ بي لأنَّكُم لا تُريدُونَ أن تُؤمِنُوا." هُنا في الإصحاحِ العاشِر، يُعطِينا يسُوعُ سَبَباً آخَرَ لعدَمِ إيمانِهم عندما يَقُول، "أنتُم لا تُؤمِنُونَ لأنَّكُم لَستُم من خِرافِي. خِرافِي تسمَعُ صَوتِي. وأنا أعرِفُها وهي تعرِفُني وتتبَعُني. وأنا أُعطِيها حياةً أبديَّة. ولن تهلِكَ إلى الأبد." هذه هي مِيزاتُ خِرافِهِ، وهُوَ يَقُولُ لليَهُود، "أنتُم لا تُؤمِنُونَ لأنَّكُم لَستُم من خرافِي."

عندما يمنَحُ خرافَهُ الحياةَ الأبديَّة، لن تهلِكَ أبداً. فعندما تخلُصُ هذه الخرافُ، هل يُمكِنُ أن تفقُدَ خلاصَها؟ أصغُوا إلى هذا التَّفسير لجوابِ يسُوع على هذا السُّؤال: "لو كُنتُم بالحقيقَةِ من خرافِي، فهذا يعني أنَّ الآبَ قدِ إجتَذَبَكُم إليَّ وأعطاكُم لي. فالآبُ سَيَكُونُ سَبَبَ مجيئِكُم إليَّ، والسُّلطة أو القُوَّة الكامِنة وراءَ مجيئِكُم، ومجدُهُ هُوَ القَصدُ من مجيئكُم إليَّ للخلاص." (٢٨- ٣٠) هذا هُوَ بالواقِعِ ما يحدُثُ عندما نُؤمِنُ ونخلُص.

ثُمَّ يُضيفُ يسُوعُ على هذه الإستِعارَة الجميلة هذا التطبيقَ التَّفسيريَّ الجميل: "خِرافِي تسمَعُ صَوتي. وأنا أعرِفُها، وهي تتبَعُني، وأنا أُعطيها حياةً أبديَّة، ولن تهلِكَ إلى الأبد. ولا يخطَفُها أحدٌ من يَدي. أبي الذي أعطاني إيَّاها هُوَ أعظَمُ منَ الكُلِّ ولا يَقدِر أحَدٌ أن يخطَفَ من يَدِ أبِي. أنا والآبُ واحِد." (٢٧- ٣٠). عندمَا نفهَمُ الخلاصَ بِحَقٍّ، ندرِكُ أنَّ خلاصَنا لا يعني أنَّنا نحنُ نتمسَّكُ بهِ، بل أنَّهُ هُو يُمسِكُ بنا.

عندما كانَ أطفالُنا لا يزالُونَ صِغاراً، كُنَّا نسكُنُ في بَلدَةٍ على شاطِئِ البَحر، وغالِباً ما كُنتُ آخُذُ أولادي إلى الشَّاطِئ. وعندما كانَ يُحاوِلُ أحدُ أبنائي الذي كانَ لا يزالُ صَغيراً جداً، أن يقتَرِبَ منَ الأمواج، كانت

الأمواجُ المُضادَّة تدفَعُهُ بِقُوَّة. لقد أردتُ دائماً أن أكُونَ أنا مُن يُمسِكُ بِيَدِهِ وليسَ هُوَ من يُمسِكُ بِيَدي، لئلا يَقَع. ولكنَّهُ كانَ يُصِرُّ أنَّهُ هُو يُريدُ أن يُمسِكَ بِيَدِي. فسَمَحتُ لهُ أن يُمسِكَ بِيَدي. وكانت تأتي المَوجَةُ الأُولى وتُوقِعُهُ أرضاً إذ تُفلِتُ يَدُهُ من يَدي بِسببِ قُوَّةِ الأمواج. وعندها كانَ يرجِعُ إليَّ وهُوَ يبصُقُ مياهَ البَحرِ المالِحة التي إبتَلَعها، وكانَ يرتَمي عليَّ قائِلاً، "يا بابا، أمسِكْ أنتَ بِيَدي هذه المرَّة."

ولقد إكتَشَفَ إبني الصَّغير أنَّ إمساكَ أبيهِ بِيدِهِ كانَ ينجَحُ بشكلٍ أفضَل جدَّاً من إمساكِهِ هُوَ بيدِي. يُعَلِّمُنا يسُوعُ هُنا أنَّ الخلاصَ وأمانَ خلاصِنا، ليسَ مُتَعلِّقاً بتمسُّكِنا نحنُ بالرَّاعِي. فالأخبارُ السَّارَّةُ هي أنَّهُ هُوَ من يُمسِكُ بنا.

يُقَدِّمُ لنا يسُوعُ إستِعارَةً أُخرى عنِ الخرافِ في هذه الأعداد. فهُوَ يتكلَّمُ عن كَونِ الخرافِ في يَدِهِ. تأمَّلْ بيدِهِ المَفتُوحَة، حامِلاً بها خروفاً، الذي يُشيرُ لي ولكَ، في كفِّ يَدِهِ. وأصغِ الآنَ إلى وعدِهِ أنَّهُ لا يَستَطيعُ أحَدٌ أن يخطَفَ هذا الخرُوفَ من يَدِهِ.

بَينما تبدَأُ بالتَّفكيرِ بأنَّ هذا الخَرُوف قد يَكُونُ قادِراً على مُمارَسَةِ حُرِّيَّةِ الإختِيار، وأن يتَّخِذَ قرارَ القفزِ من يَدِ الرَّبّ، أصغِ إلى وصفِ يسُوع لِيَدِ الآب، التي تأتي من فَوقُ لتَغمُرَ كَفَّي الإبن، جامِعَةً يديهِ معاً، والخَروفُ في أمانٍ بينَهُما. الآن أصبَحَتِ الصُّورَةُ المجازِيَّةُ كامِلَةً عندما يَقُولُ يسُوع، "أبي الذي أعطاني إيَّاها هُوَ أعظَمُ منَ الكُلِّ ولا يَقدِرُ أحَدٌ أن يخطَفَ من يَدِ أبِي." (٢٩)

نحنُ مخلُوقاتٌ ذات خيَار، ويُوجَدُ أشخاصٌ ضالُّون. ولكنَّ الأبناءَ الضَّالِينَ لا يَبقُونَ في الكُورَةِ البَعيدَةِ طيلَةَ حياتِهِم. وعندما لا يَرجِعُ الإبنُ الضَّالُّ من حَظيرَةِ الخنازِير التي يعيشُ فيها بعيداً عنِ الآب، يَكُونُ الحُكمُ أنَّهُ لم يَكُنْ إبناً أصلاً. ولكن، إن كُنتَ أنتَ إبناً ضالاً، أو إذا كانَ لَدَيكَ إبنٌ ضالٌّ، سوفَ تتعزَّى كَثيراً عندما تعلَمُ أنَّ الأبناءَ يَرجِعُون. فلن يَفُوتَكَ القِطارُ أبداً لتَعودَ إلى نفسِكَ مثل الإبن الضَّال، وتُقَرِّرَ أنَّكَ لا تنتَمي إلى حَظيرَةِ الخنازير في الكُورَةِ البَعيدَةِ في هذا العالم. ولا تَكُفَّ عنِ الصَّلاةِ لعَودَةِ أبنائِكَ الضَّالِّينَ، لأنَّهُ منَ المُمكِنِ جِدَّاً لهُم أن يَكُونُوا أبناءَ حَقِيقِيِّينَ

للآب، أو خراف ضالَّة سترجعُ إلى حَظيرَةِ الرَّاعي الصَّالِح. (لُوقا ١٥: ١١- ٢٤).

عندما كانَ الدُّكتُور J. Vernon McGee أُستاذِي في كُلِّيَّةِ اللاهُوت، سألتُهُ مرَّةً، "ماذا لو ماتَ الإبنُ وهُوَ في الكُورَةِ البَعيدَة، في حُفرَةِ الخنازِير؟" فكانَ جوابُهُ، "عندَها سيَكُونُ إبناً مَيِّتاً، وليسَ خنزِيراً مَيِّتاً." فكَونُ الإنسان في حُفرَةِ الخنازِير لا يجعَلُ منهُ خنزيراً. بل يجعَلُ منهُ إبناً موجُوداً في المكانِ الخطأ، حيثُ لا ينبَغي لهُ أن يَكُون.

هذه بعضُ الأسئِلَة التي أُثِيرَت في هذا الجزء من الإصحاح العاشِر من إنجيلِ يُوحَنَّا. بِرأيي، العددُ الأهَمُّ في هذا الإصحاح هُوَ العددُ الثلاثون: "أنا والآبُ واحِد." هذا واحِدٌ من أعظَمِ التَّصريحاتِ التي قدَّمَها يسُوع. هذا هُوَ تفسيرُهُ لِكُلِّ من هُو، ولِكُلِّ الكلماتِ التي تكلَّمَ بها ولكُلِّ الأعمال التي عَملَها. بِالنِّسبَةِ لِيَسُوع، هذا هُوَ التَّفسيرُ الدِّينامِيكيّ لِحَياتِهِ وعملِهِ: "أنا والآبُ واحِد."

ولقد قدَّمَ يسُوعُ تصريحاً عميقاً آخر في هذا الإطار نفسِهِ عندما قالَ، "يُمكِنُ لِخِرافِي أن تَعرِفَني ولي أنا أن أَعرِفَها، تماماً كما يَعرِفُني الآبُ وأنا أعرِفُ الآب." بكلماتٍ أُخرى، هُوَ والآبُ واحِد، ويُمكِنُ لنا أن نَكُونَ واحِداً معَهُ، أي معَ المسيحِ المُقامِ الكائن. ليسَ فقط المسيح التَّاريخيّ الذي كانَ، بل المسيح الكائن الآن بِسَبَب قِيامَتِهِ.

عندما نستَوعِبُ معنى هذا التَّعليم/الوعد، يُصبِحُ التَّفسيرُ العمَلِيّ والتَّعَبُّدِيّ الحقيقَةَ الرَّهيبة أنَّهُ منَ المُمكِنِ لنا أن نَكُونَ واحداً معَهُ، فيُنطَقُ بكلماتِ المسيحِ من خلالِنا على الأرض، وتُعمَلُ أعمالُ المسيحِ من خلالِنا على الأرض. هذا التَّعليم/الوعد سيَكُونُ مُمكِنَاً الوُصُولُ إليهِ لكُلِّ تلميذٍ حَقيقيٍّ، من خلالِ وِحدَتِنا معَ الرُّوحِ القُدُس. وسيُخبِرُنا المسيحُ المزيدَ عن هذا الأمر في عظةِ العُلِّيَّة (يُوحَنَّا ١٣- ١٦).

مُلَخَّص:

طريقَةٌ جَديدَةٌ لتَلخِيصِ المعنى والتَّطبيق الشَّخصي لكُلِّ إستِعاراتِ الخِراف في هذا الإصحاح العَظيم، هُوَ بِطَرحِ هذه الأسئِلة الثلاث مُجدَّداً. "من هُوَ يسُوع؟" إنَّهُ راعي الخراف العَظيم – الرَّاعي الصَّالِح، الذي تنبَّأَ

عنهُ داوُد، بما يُعرَفُ بكونِهِ أكثر إصحاح مألُوف ومحبُوب في الكتابِ المُقدَّس، المَزمُور الثَّالث والعِشرين.

و"ما هُوَ الإيمانُ؟" الإيمانُ هُوَ سماعُ صَوتِهِ وإتِّباعُهُ لأنَّنا خرافُهُ ولأنَّنا نسمَعُ صوتَهُ. الإيمانُ ليسَ أنَّنا نحنُ نتمسَّكُ بهِ. الإيمانُ هُوَ أن نرى أنفُسَنا محفُوظِينَ في كَفِّ الرَّب، واثِقينَ بأنَّهُ قادِرٌ أن يُمسِكَ بنا. الإيمانُ هُوَ رُؤيَةُ يَمينِ اللهِ الآبِ تنزِلُ على يدي الإبن اللَّتين تحمِلانِنا، لتحفَظَنا سالِمينَ بينَ هاتَينِ اليَدَين.

و"ما هِيَ الحياة؟" الحَياةُ هي الخلاصُ، والحياةُ هي الأمانُ الزَّمني والأبديّ. الحَياةُ هي أن نشعُرَ بالأمانِ وأن نَكُونَ آمنِينَ في هذه الحياة وفي الحياةِ العَتيدة. الحياةُ هي ذلكَ النَّوع منَ الأمان. الحياةُ هي الأمانُ في قَلبِ يدِ الله، لأنَّنا محفُوظِينَ بينَ هاتَينِ اليَدَين – يد الإبن ويد الآب. الحَياةُ هي الدُّخُولُ والخُرُوجُ وإكتِشافُ الخلاص. الحياةُ هي أن يَكُونَ لنا مجيءٌ نافِعٌ إلى الرَّب، وذهابٌ مُثمِرٌ لأجلِهِ، ممَّا يُنتِجُ حياةً فيَّاضَةً، الأمرُ الذي يُسمِّيهِ يسُوع، "ويدُوم ثَمَرُكُم." (١٠:١٠؛ ١٥: ١٦) هذا ما هِيَ الحياةُ، بِحَسَبِ الإستِعاراتِ الرَّاعويَّة الجميلة في الإصحاح العاشِر من إنجيلِ يُوحَنَّا.

أعتَقِدُ أنَّكَ تكتَشِفُ الآنَ من هُوَ يسُوع، وأنَّكَ تنمُو في الإيمان – ذلكَ النَّوع منَ الإيمان الذي يُقدِّمُهُ يُوحَنَّا في هذا الإنجيل، وأنَّكَ تختَبِرُ نوعيَّةَ الحياة التي يُسمِّيها يُوحَنَّا بالحياةِ الأبديَّة. أدعُوكَ لتُتابِعَ دراسَةَ كلمةِ الرَّبّ، ولتُتابِعَ معنا دراسَتنا لهذا الإنجيلِ المُوحَى بهِ منَ الله، إنجيل يُوحَنَّا، الذي نُتابِعُ دراسَتَهُ في الكُتَيِّب المُقبِل، الذي سيَكُونُ الكُتَيِّب رَقم ٢٦ في سِلسَلَةِ كُتيِّباتِنا الثلاثة والثَّلاثين. أرجُو أن تُخبِرَنا بما يعمَلُهُ اللهُ في حياتِكَ.

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية مسيحية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.

لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل